

القديم: ضحك الله إبراهيم

جمهورية آل مبارك

صعود سيناريو التوريث

الطبعة
الثالثة



محمّد طعيمة



هل جمال أت.. أت.. كما يُصر البعض؟ سؤال شغل من كتبوا عن "القضية"، فالمسألة لا تتوقف عند تصفية الحرس القديم، كما نبه تقرير معهد الشرق الأوسط. فهناك "مؤسسات حاسمة" في مصر يجب أن تدعمه طرحت (ماري أن ويفر)، الباحثة الأمريكية المعروفة، مسألة الخلافة علي لواء متقاعد، قال وهو يبتسم: لا زلنا مثل أبو الهول. مع ذلك، عندما تنهين إلي أي ناد للضباط ستسمع من المناقشات تدور، لسنا بلداً تتوارث فيه الحكم عائلة واحدة. كان لعبد الناصر ابن وكان للسادات ابن. ولم يهيا أباً منهما في الحالتين سالت ماري علي الدين هلال، الراعي السياسي لجمال، عن انتقادات اللواء، فقال دون أن يجيب علي السؤال: من أهم أوجه قوة جمال إدراكه لضرورة الإصلاح. أنظري إلي تركيبتنا السكانية، ثلثي السكان تحت سن الخامسة والثلاثين ويدخل 800 ألف خريج سوق العمل كل عام، يشكلون 90% من البطالة. يفهم جمال أيضاً مشكلتنا الثانية، وهي نتيجة للأولي، انتشار لتطرف خاصة بين الشباب، ظل الدين هو حديثنا الوحيد، كل مسألة يتم تلبيسها عبادة الدين، فائدة البنوك؟ السياحة؟ نمط الحياة الإسلامية الملائم؟ الدين يتخلل كل شيء، يعلم جمال هذا لكنها سمعت نقيماً مختلفاً عن جمال من الناشر هشام فاسم، قال: تابعت خطبه، جاهدت لأجد جديداً.. لا شيء، شخص عادي.. لا أكثر، كان تلميذاً عادياً ومصرفياً عادياً وردد مستنول أمريكي قابل جمال مرات نفس الرأي، قال: يترك انطباعات جيدة، واثق من نفسه للغاية، ويفهم أكثر من والده من أين أتى الأمريكيون. هذا هو الموضوع، لكن ماذا يوجد في داخله؟

ميريت

محمد طعيمة

جمهورية آل مبارك..
صعود سيناريو التوريث.
مقالات مختارة

ميريت
القاهرة ٢٠٠٩

جمهورية آل مبارك..

صعود سيناريو التوريث.

مقالات مختارة

محمد طعيمة

الطبعة الثالثة ٢٠٠٩

(C) دار ميريت

٦ (ب) شارع قصر النيل، القاهرة
تليفون / فاكس: ٢٥٧٩٧٧١٠ (٢٠٢)

www.darmerit.org
merit56@hotmail.com

الغلاف : صالح عبد العظيم

المدير العام : محمد هاشم

رقم الإيداع: ١٤٦٩٠ / ٢٠٠٥

الترقيم الدولي: 977-351-259-2

تقديم

فيما بعد، عندما ينجلي غبار المعركة، ويفوز الشعب المصري بحقه في اختيار حكامه، ويتخلص من القوانين المقيدة للحريات، ومن القمع الذي كبل حيويته. عندما يفرض خطة للتنمية الحقيقية تأخذ مصالح الأغلبية في الحسبان، وحقوقها في العمل والصحة والتعليم والعدالة. عندما يتحرر من النفوذ الأجنبي والهيمنة الأمريكية، ويستعيد دوره الطبيعي عربياً وعالمياً، فيساند بحزم المقاومة العراقية للاحتلال الأجنبي، ويتصدى للعدو الإسرائيلي ولبرنامج تصفية الشعب الفلسطيني.

عندما يحدث كل ذلك، سنكون في حاجة إلى سجل يذكرنا بالدور الذي لعبته مقالات محمد حسنين هيكل في تصحيح الوعي الجمعي، والدور الذي لعبه برنامج حمدي قنديل في إشعال الوعي القومي، وبموقف الصحفيين الشجاع من رموز السلطة في انتخابات نقاباتهم، ودورهم في كشف المستور والتصدي للفساد المضارب في ظل سلطة شاخت وتعنتت وباعت مصالح البلاد وشرواتها من أجل الاستمرار بالتمديد أو التوريث، وبالدور الطبيعي لحركة "كفاية" التي نقلت المعركة من الغرف المغلقة إلى الشارع رغم أنف الطغيان.

المؤلف:

- مسئول التحرير المركزي بجريدة العربي، من أول عام ٢٠٠٠ حتى إبريل ٢٠٠٤.
- المنسق الإعلامي لحركة كفاية حتى يونيو ٢٠٠٦.

من هنا تأتي أهمية هذا الكتاب الذي يوثق فيه مؤلفه - من خلال مقالاته المتتابعة في صحيفة العربي الناصري - لفضيحة التوريث، ويلقي الضوء على كثير من تجلياتها وشخصياتها.

يسجل الكتاب أول ظهور لجمال مبارك في ١٩٩٨ والخطوات التي صحبت إعداده للدور القادم، بدءاً من جمعية المستقبل والمجلس الرئاسي المصري الأمريكي حتي السيطرة على الحزب الوطني والحكومة، وتفاصيل الصراع الذي نشب بين الحرسين القديم والجديد.

ويسجل للمؤلف أنه - في وقت كان الاقتراب فيه من العائلة الحاكمة من المحظورات - من أوائل من تعرضوا إلى دور زوجة الرئيس المتشعب في الحياة السياسية، وربما أول من تحدث عن اللواء عمر سليمان الذي ما زال يُعتبر من الشخصيات الغامضة في الحياة السياسية، وأول من أشار إلى حديث جمال مبارك الشهير في يناير ١٩٩٩، وإلى اعتراف الأب في ١٩٩٣ بمشاركة ابنه في شراء وبيع ديون مصر.

وما زلت أتذكر مشاعر الإشفاق عليه بعد كل مقال من مقالاته، والصعوبات التي واجهها بسبب مواقفه. ولا أنكر أنني خفت عليه بعد أن قرأت هذا الكتاب. لكن هناك في الحياة أدوار مقدرة مهما بلغت فداحة ثمنها.

صنع الله إبراهيم

إلى نبوية وعمر

إلى (نبوية السيد عبدالله)، إنكفت علينا لتربينا بصحتها. لم تسرق من أجلنا، رغم خنقة الحياة، حقوق الآخرين.

هاهي قد رحلت، ١٤ ديسمبر ٢٠٠٨، قبل أن نحقق حلمها الوحيد "بيت العز".. مجرد بيت تجمع فيه أولادها الستة وأحفادها.. تحت تكسية عنب.

إلى (عمر). المستقبل الذي أتمناه، شارباً من "عبل" جدته.

قبل الثالثة

مع مجرد خطوات تمهيدية لسيناريو التوريث، تكاد بنية الدولة الأقدم تاريخياً أن تتفكك.

والأمر لا يقتصر على أنكم.. أنت وأبيك لا تدركان قيمة البلد الذي تحكمونه" كما قال المفكر الليبرالي الراحل سعيد النجار لجمال مبارك في نادي الدبلوماسيين، بل انهم أصلاً لا يعون معنى "دولة" من مصلحتهم الإبقاء عليها ليجدوا ما يحكمونه.. وينهبونه.

حالة تجريف عام تتعرض لها مصر، توحش أمني لا يرحم أحد.. من العشوائيات إلى بنية الدولة القانونية/القضاء.. وإهدار تام لفكرة "الوطن"، آخرها ترك "المواطنين" لتعطن عظامهم، بعد كرامتهم، تحت أحجار جبل المقطم. وحرائق طاردت فئة من المصريين/قطار الصعيد - مسرح قصر ثقافة بني سويف.. ثم مؤسسات هي أعمدة رئيسية في بنية مصر التي حلمنا بها دولة حديثة.. البرلمان والمسرح القومي ومصانع المحلة، وكل من دلالته في ذاكرة البلد. وحرائق الفتنة بين "عنصري الأمة" لم تعد تحت الرماد.. بعد أن أصبحت دائمة الاشتعال.

في ظل حكم الأب مبارك، ثم بالشراسة مع الابن جمال، تآكل الرصيد الاقتصادي والسياسي والإقليمي والاجتماعي والثقافي.. و"الإنتمائي" للبلد، فإذا كان الأب لا يدرك معنى "رجل الدولة" فالابن وفريقه يتصرفون وكأنها "إقطاعية" يتقاسمون ناسها وزرعها وضربها. ومع تجفيفهم المستمر لبنابيعها، قننوا تعاونهم، على النهب الفوضوي، مع نماذج مثل مدوح إسماعيل وأحمد عز وهشام طلعت مصطفى.. علناً وبفجاجة ملاك الإقطاعيات.

توابع إفرازات "شراكة الأب والابن" المدمرة حركت "البعض" من داخل "بنية" النظام نفسه.. للتحذير.. ثم الاعتراض المباشر، الذي قيل إنه أوقف "محاولة لتنفيذ" سيناريو التوريث كان مقرراً لها نوفمبر القادم. وتنقل مصادر لها صدقيتها أن عنصرين فاعلين جداً في بنية النظام، رغم ما يشاع بأن "العادي" هو تنافسهما، عرضا الاستقالة بهدوء.. حينما جاءهما رداً حاداً على انتقادهما "المشترك"، لاستمرار خطوات التمهيد للتوريث.

الآن يحسد الجدل بين نورثين، الأول لصالح جمال، والثاني لصالح منظومة الحكم التي تعتمد على شرعية ثورة يوليو.. مع الحديث عن "مقايضة تاريخية".. تتضمن حزمة إصلاح دستورية مقابل إعلان قوى المعارضة والحراك السياسي تأييدها لاستمرار ذات المنظومة.

لكن البداية كانت على صفحات جريدة (العربي). وقتها كانت "تلميحات" التوريث تظهر خجولة بالمجالس الخاصة، لتتشجع قليلاً بعد إشارة (الأستاذ هيكल) إليها بالجامعة الأمريكية.

قبلها لم يتعرض لها أحد بوضوح.. البعض عبر، في أعمدة الرأي، عن مخاوفه من تكرار سيناريو (بشار الأسد)، لكن أحداً لم يقترب من خطوط السيناريو.. كما كان يطبخ.

حينها، وبعد لقاء (جاك سترو) وزير خارجية بريطانيا بجمال، منتصف ٢٠٠٢، دشّن مصريون مقيمون بالخارج، تحديداً في تورونتو بكندا، حملة جمع توقيعات ضد التوريث، مع رصد لقطرات صعود جمال. التقطناها من منتداهم على الشبكة العنكبوتية إلى أوراق (العربي) بتأثيرها الأوسع إعلامياً وسياسياً. وكان أول تحقيق صحفي عن إرهابيات التوريث. وبدأت معارضة.. ثم مقاومة سيناريو التوريث تخرج للنور في ثلاث حلقات متتابعة.

أذكر وقتها كلمات المبدع.. الغارق في هموم وطنه (صنع الله إبراهيم) بكل قيمته لدينا.. "هذا عمل غير مسبوق في تاريخ الصحافة المصرية". كوسام سأظل أفخر به، ليشجعني على إكمال سلسلة تحقيقاتي عن التوريث، ثم توثيقها في هذا الكتاب.

لكل تحقيق منها ظرفه الخاص في تاريخ نشره. لكن يظل لكل منها "طزاجته الزمنية" وسبقه، ومؤشراً على تطور سيناريو التوريث. ومن الطبعة الثالثة حذفت ما رأيت أن الزمن تجاوزته، وأضفت ما تيسر لي متابعته من السيناريو.. أما الهوامش فترصد تطورات ما بعد النشر، حتى سبتمبر ٢٠٠٨.

وكلها - عدا تقرير (جمال وعلاء) - نشرت في التجربة التي سيقف عندها تاريخ مصر أكثر فيما بعد.. (العربي) التي لم

تُخرق الخطوط الحمراء فقط.. بل ظلت منفردة بمحاربة التوريث
لأكثر من عام قبل أن ينضم لها آخرون.

في تلك الفترة، كانت هناك حركة ثقافية واسعة النطاق في مصر، تهدف إلى تحديث الفكر والمجتمع. وكان من بين الشخصيات البارزة في هذه الحركة، عدد من المثقفين والسياسيين الذين كانوا ينادون بالثورة الثقافية. وكانوا يرون أن المجتمع المصري بحاجة إلى تغيير جذري، ليس فقط في البنية السياسية، بل وفي البنية الفكرية والثقافية أيضًا. وكانوا يرون أن التوريث، بمعنى الاعتماد على التقاليد والقيم القديمة، كان عائقًا أمام التقدم والحداثة. لذلك، كانوا ينادون بضرورة التخلص من التوريث، وبناء مجتمع جديد، قائم على العقلانية والديمقراطية.

كشف الالمستور

(١) استفتاء على التوريث

فجأة، ابتداءً من الثلاثاء الماضي، وبدون سابق إنذار، تفجرت قضية توريث الرئاسة، في حملة لم نعتز لها على أوصاف محايدة.

في توقيت واحد امتلأت "الإميلات" بمقال لد. العقيد محمد الغنيم^(١).. المفصول من الشرطة واللاجئ إلى سويسرا، وباستفتاء عن قضية التوريث.. وبرصد لبدائيات ظهور اسم (جمال) في الإعلام المصري، عنوانيهما،

و (www.egyptiantalks.org/phpbb2plus/ -)

و (www.petitiononline.com/ouregypt/petition.html) و بيان لمجموعة أسمت نفسها (المصريون الأحرار) .. التي تتفرد بين المواقع الأربعة بالإشارة إلى قضية القدس ورفض (مبارك) عروض إسرائيل بكامب ديفيد^٢، وبالتالي "عرقلة" للسلام بالمنطقة. وبالطبع ليس هذا اتهاماً من وجهة نظر الأغلبية الساحقة من المصريين.

على موقع (محاورات المصريين) ^(٢) المرتبط بجريدة (الوفد)، نقرأ رسداً - محايداً ظاهرياً - لبيدات بروز اسم (جمال) بالصحف المصرية.. وتحديدًا بـ (الأهرام).. يقول صاحبه بالحرف: "إخواني وحبائي وحنّة من قلبي.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، بالبحث في جريدة (الأهرام).. تبين التالي:

١- أول خبر ورد فيه اسم (جمال مبارك)، كان في ٤ أكتوبر ١٩٩٨، باب الاقتصاد، بعنوان "خوض معركة التنمية بروح أكتوبر".. أكد د. يوسف بطرس غالي في افتتاح أعمال المحور الاقتصادي بالندوة الاستراتيجية حول حرب أكتوبر، والتي افتتحها الرئيس مبارك أمس، ونظمتها وزارة الدفاع والإنتاج الحربي. ويتحدث (جمال مبارك) في الحلقة النقاشية حول التعاون الاقتصادي العربي في إطار التعاون الاقتصادي الإقليمي.. وكيف نمنع نشوب حرب جديدة".

•• هنا يشير الأهرام إلى ("السيد" جمال مبارك) بدون أية صفات.

٢- الأربعاء ٢٥ نوفمبر ١٩٩٨، الصفحة الأولى، بعنوان "مبارك يستقبل الرئيس الأمريكي".. وصرح السيد محمد لطفى منصور - سكرتير عام جمعية المستقبل - التي يرأسها (السيد جمال مبارك)، بأن..

•• هنا يُنبئنا الأهرام بمنصب (السيد جمال)، وهو رئيس جمعية المستقبل".

٣- السبت ٢٨ نوفمبر ١٩٩٨، بعنوان "جمعية المستقبل تستضيف الرئيس الأمريكي السابق بوش في حفل عشاء خيري".. أقامت جمعية المستقبل حفل عشاء خيري حضره الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش، الذي ألقى كلمة أشاد فيها بسياسة الرئيس مبارك، وبدوره في تحقيق السلام بالشرق الأوسط، وبخطوات الإصلاح الاقتصادي في مصر. وأعلن جمال مبارك رئيس الجمعية، إنها ستقوم ببناء ١٥ ألف وحدة سكنية لمحدودي الدخل خلال السنوات الثلاث المقبلة.

•• تميز الخبر بنقطة جديدة، إذ تم نشر صورة لـ (السيد جمال مبارك)، والتعريف بجمعية المستقبل وتقديمها بصورة تلقى استحسان الناس.

٤- في نفس اليوم، السبت ٢٨ نوفمبر ١٩٩٨، الصفحة الأولى، بعنوان "جمال مبارك: جمعية المستقبل تبني ١٥ ألف وحدة سكنية لمحدودي الدخل".. أكد جمال مبارك عضو المجلس الرئاسي المصري الأمريكي ورئيس جمعية المستقبل، أن الجمعية سوف تبني ١٥ ألف وحدة سكنية لمحدودي الدخل، خلال السنوات الثلاث المقبلة، وإنها تقوم بدورها في توجيه دعم القطاع الخاص لبناء مساكن حضارية مناسبة لذوي الدخل المنخفضة من أبناء الشعب. جاء ذلك في كلمته بالحفل الخيري الذي أقامته الجمعية وحضره الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش كضيف شرف، ود. كمال الجنزوري رئيس مجلس الوزراء، ورجال الأعمال ورؤساء البنوك والشركات.

°° يُنبئنا الأهرام بمنصب آخر لـ (السيد جمال)، هو عضو المجلس الرئاسي المصري الأمريكي^(١).

٥- الثلاثاء ٢٩ ديسمبر ١٩٩٨، باب تحقيقات، بعنوان "سوزان مبارك خلال توزيع عقود مساكن مشروع المستقبل للأسر البسيطة.. تشهد الاحتفال د. كمال الجنزوري رئيس مجلس الوزراء، ووزراء الإعلام والاقتصاد والتعاون الدولي والمحافظون الذين تقع بنطاقهم المدن الجديدة، والسيد جمال مبارك رئيس جمعية إسكان المستقبل، ورجال الأعمال والمستثمرين".

°° مع الخبر صورة للسيدة سوزان وبجوارها (السيد جمال).

°° ملاحظة: تشابه بين هذا الخبر وخبر آخر بتاريخ ٢ ديسمبر ١٩٩٩، مع تطور وضع السيد جمال فيه.

٦- ٢ يناير ١٩٩٩، باب الرياضة، بعنوان "في دورة حورس الرمضانية.. علاء وجمال مبارك سجلا أهداف الصقور".

°° يتابع الأهرام في سلسلة تقارير الدورة الرمضانية التي انتهت بفوز الصقور، وصور (السيد جمال) وهو يلعب.

٧- الثلاثاء ٢ فبراير ١٩٩٩، باب اقتصاد، بعنوان "دافوس مصغر في القاهرة.. كبار خبراء الاقتصاد في العالم يناقشون مستقبل النمو الاقتصادي في مصر.. ويختتم اليوم الأول بجلسة عامة يرأسها جمال مبارك عضو المركز المصري للدراسات الاقتصادية، يتحدث فيها عبدالشكور شعلان".

°° يُنبئنا الأهرام بمنصب جديد لـ (السيد جمال)، وهو عضو المركز المصري للدراسات الاقتصادية^(٢).

حياد موقع (محاورات المصريين) الظاهري، لا يقارن بمخونة بيان- مقال (محمد الغنام)، الموزع عبر المرصد الإعلامي الإسلامي التابع للجماعة الإسلامية، وإن نستطيع وفق أي سياق إيراد أية أجزاء منه، سوى فكرته العامة.. التحذير وبالألفاظ قاسية من توريث الحكم، ومن خطوات "رصدها الغنام- لتحقيقه.. أخفها إشارته لخطوات مثل سيطرة جمال على الحزب الوطني، أما الباقي.. فالصمت أفضل.

الحلقة الثانية من الحملة نجدها على موقع بعنوان "لا لتوريث الحكم"، أفتتح به من قال إن اسمه (أيمن سلامه) استفتاء لرفض التوريث، استهله ببيان قال فيه^(٣):

<<نحن مجموعة من أبناء الوطن في الداخل والخارج، من مثقفين وغيورين على هذا الوطن، ولا ننتمي إلى أي تنظيم حزبي أو تيار سياسي محدد، واعتدنا الالتقاء عبر منتديات الإنترنت للنقاش هموم الوطن وأفضل السبل للارتقاء به>>.

ثم متحدثاً إلى "أبناء الوطن العريق": <<لاحظنا الآونة الأخيرة تحركات رسمية صريحة على الساحة السياسية، لا هدف لها سوى تأهيل السيد/ جمال مبارك، نجل رئيس الجمهورية/ محمد حسني مبارك ليكون رئيساً للجمهورية خلفاً لوالده. مؤشرات هذه التحركات عديدة وواضحة، مثل استحداث منصب لجنة السياسات بالحزب الوطني الحاكم وتعيين السيد جمال مبارك

رئيساً لها بقرار من والده. وتتردد شائعات فيما يتم تداوله عن اتجاهه لأن يحتل السيد جمال مبارك مناصب حساسة، ليكون هو المؤهل لتسلم الحكم تلقائياً، وبحكم الدستور في حالة خلو منصب رئيس الجمهورية أو نقل تلك الولاية له حالياً في وجود والده.

نرى السيد جمال مبارك وقد أصبح محط اهتمام الإعلام، ويدل على بالتصريحات السياسية المختلفة ويحدد اتجاهات الدولة. أن كل ما يجرى على الساحة وتداوله الصحف ووكالات الأنباء العالمية يؤكد بوضوح أن هناك قراراً قد تم اتخاذه بالفعل، وأن ما نراه حالياً هو التطبيق العملي لتلك الخطة التصعيدية لكرسي الحكم.

نحن أبناء الوطن نرفض الحجر على إرادتنا المستمر طوال خمسين سنة، ونطالب الأحزاب والقوى السياسية والقانونية والمؤسسات المدنية والأدباء والصحفيين الشرفاء بالتصدي لهذا المخطط بكل السبل السلمية والقانونية والدستورية. ونسأل عن شرعية ودستورية أن يعين السيد رئيس الجمهورية نجله في منصب قيادي في الحزب الأوحده الحاكم.

نحن أبناء هذا الوطن نرفض أن نورث ونجند مطالبنا الدائمة بإلغاء قانون الطوارئ وإقرار نظام ديمقراطي يسمح بتداول السلطة، وفتح باب الترشيح لمنصب رئيس الجمهورية وإجراء انتخابات الرئاسة في ظل مناخ تعددي وفي ظل انتخابات حرة نزيهة.

كما نناشد الشعب العظيم بكل فئاته بأن يترك السلبية وأن يشارك في العمل الوطني البناء. وأن يتنبه لما يحاك له وأن يبادر الجميع باستخراج بطاقات التصويت الانتخابية التي تمكنهم من الإدلاء بأصواتهم بدلاً من أن تزيّفها لصالح الانتهازيين والاستغلاليين>>.

يواصل البيان <<حيا شعب مصر: العالم يتغير من حولنا بخطى متسارعة، وبعد أن كنا بين دول المتقدمة في العالم، أصبحنا في آخر الركب وسبقنا دول ما كنا نحسب أن تساونا، فضلاً على أن سبقنا. إن الديمقراطية والحريات والمجتمع المدني أصبحت من الضروريات الأساسية التي لا غنى عنها لكل شعب يريد أن يقف وسط شعوب العالم وأن يتعامل معها في إطار من السندية والتكافؤ. حان وقت انتقال السلطة إلى الشعب، لا للتوريث الحكم، ولا لجمال مبارك>>.

(أيمن سلامة) سواء كان اسماً حقيقياً أو وهمياً، افتتح التصويت برفض التوريث، وحتى مساء الجمعة كان أكثر من "٥٠٠" مصري وقعوا بالرفض، وبتعبيرات مختلفة تتفاوت في حدتها.. بعضها بالإنجليزية وأغلبها بالعربية، عدا شخص واحد وافق على التوريث، اسمه (د. وحيد).

تكهنات غربية ترصد سيناريو التوريث

خلافًا لما حدث داخل مصر، نُوقِشت قضية الخلافة خارجها منذ عام ١٩٩٥، تخفت حينًا وترتفع أحيانًا. الاهتمام الغربي بـ"ما بعد مبارك"، تقجر لأول مرة بعد محاولة اغتيال الرئيس في أديس أبابا عام ١٩٩٥، ثم في بورسعيد عام ١٩٩٩^(١)، وتحولت التساؤلات إلى ابنه الأصغر مع الحديث في ذات العام عن حزب جديد يؤسسه باسم (المستقبل)^(٢)، ثم مع ضمه للصف الأول بالحزب الحاكم عام ٢٠٠٠، وبلغت حدتها قبل وبعد مؤتمر الحزب الوطني سبتمبر الماضي.. وتجددت التلميحات مع حضوره احتفالات عيد الميلاد المجيد.

عشرات المقالات ناقشت القضية، (فاينانشيال تايمز) في ٢-٦-١٩٩٥، و(نيويورك تايمز) أكثر من مرة، منها (٨-١١-١٩٩٩ و ٣-١٠-٢٠٠٢)، وأيضا (الديلي ستار) أكثر من مرة. ومعنا دراستان.. أولاهما من معهد دراسات الشرق الأوسط الأمريكي الجنسية.. للصهيوني الهوى، أعدها (دانييل سولمان)

(١) مانشيت الصفحة الأولى: معركة التوريث على الإنترنت.

(٢) عقيد شرطة سابق، كان مسؤولاً عن إدارة الأبحاث الداخلية،

قبل إجباره على الاستقالة لانتقاده فساد وأليات عمل الشرطة.

(٣) (محاورات) كان يرعاه القيادي الوفدي الراحل إبراهيم الدسوقي.

(٤) بعد شهر، سيصبح جمال المتحدث المصري باسم المجلس بدلا

من رجل الأعمال شفيق جبر.

(٥) مركز يسيطر عليه الليبراليون الجدد المقربون من جمال، رعاه

رجل الأعمال طاهر حلمي. ونقول أوراق رسمية أن المركز يحصل على

٥٠% - تقريباً - من التمويل الأجنبي الموجه للمجتمع المدني.

(٦) البيان هو أول تحرك علني ضد التوريث. أنظر (وثائق).

المحلل بـ"هارتس" .. وبالمعهد نهاية ٢٠٠١، وهي الأكثر إسهاماً في التعرض للقضية، منذ بداياتها.

تحت عنوان "جمال مبارك.. رئيس مصر؟"، يبدأ (دانيال) دراسته متسائلاً: من يخلف مبارك؟ يكمل: لا أحد عنده إجابة كافية، لأن الرئيس المصري يرفض تعيين نائباً له.. غالباً سيكون الرئيس التالي له. مبرراً التساؤل بقلق المصريين على مستقبلهم بعد مغادرة مبارك للمشهد السياسي.. خشية أن تتعرض البلاد لتقلبات واسعة النطاق، سيكون لها نتائج هائلة على الشرق الأوسط كله. هذه النتائج، بالطبع -ضيف دانيال- تشغل بال صناع القرار بدول إقليمية وغربية.

دانيال، كما غيره من المعلقين على "القضية"، يورد فقرات تعريفية بمسيرة الرئيس، مشيراً إلى أنه الأكثر بقاءً على قمة السلطة في مصر الحديثة منذ محمد علي.. ومُسهِباً في رصد ترشيحات لأسماء ظهرت منذ بداية التسعينيات كـ"خليفة مُحتمَل"، حتى بروز (جمال) على قمة الترشيح "البديل"، وكلها أسماء خرجت من مؤسسة سيادية^(٣)، هي الأكثر تقديراً من الشعب، مشيراً هنا إلى حوار (الأستاذ هيكِل) لـ(روز اليوسف)^(١)، على حلقتين، تعبيراً عن مخاوف المصريين من "الفراغ"، وهي نفس التخوفات التي تجددت في سبتمبر ١٩٩٩ مع حادثة موكب الرئيس في بورسعيد، ليكون التكنة التي استغلتها صحف المعارضة لإثارة قضية خلافة الرئيس ثانية، مُطالبة باختيار نائباً له.

مبرر آخر للحديث عن "الخلافة" عام ١٩٩٩، يواصل دانيال، يشعل بالالين الأصغر لمبارك وفرص خلافته لأبيه، خاصة بعد ما تردد عن تكوينه حزباً باسم (المستقبل)، أكثر من مقال اشترك في رصد إشاعات تكوين الحزب كنقطة انطلاق (جمال) نحو السلطة، منها (الديلي ستار) في ٢٣-٩-٢٠٠٢، وبالطبع تكرر نفي الرئيس.

قبلها، لم يكن جمال يُعرف الا كـ"رجل أعمال" شاب، تتركز أنشطته بلندن، وإن ارتبطت بمصر وبمنطقة الشرق الأوسط، كما أوضح هو بنفسه في حوار تفصيلي وفريد عن نشاط شركته، نُشر يناير ١٩٩٩، تجده على موقع (www.winne.com)، أشار فيه إلى عمله ببنك أمريكي في مصر لخمس أو ست سنوات، ثم انتقاله إلى فرع البنك بالعاصمة البريطانية، ثم تفرغه مع عدد من زملائه لتأسيس شركة أوراق مالية "صغيرة"، لها علاقات وثيقة بأسواق مصر والشرق الأوسط وأفريقيا، ثم افتتاح فرع لها في مصر عام ١٩٩٧، وبعدها بأشهر افتتح صندوقاً مكرساً لمصر باسم "إي. إف. جي"، أسوة بصندوق أمريكي مماثل، وأن الصندوق المصري تحرك برأسمال ارتفع تدريجياً إلى ٥٤ مليون دولار.

حوار جمال الطويل، الذي توزع بين أنشطته الخاصة ورؤيته للتطورات الاقتصادية في مصر، والمشاكل التي تعرقل قدوم الاستثمارات لها، لم يكن أول ظهور صحفي له.. خارج مصر بالطبع. ففي عدد ١٤-١١-١٩٩٦ من (نجم الأردن)، نجد تقريراً ولقاءً سريعاً معه عن مؤتمر ضم ٥٠٠ "رجل أعمال" من الدول

الثلاث^(١).. للترويج للسلام في مواجهة تعنت ننتيا هو، وستجد إشارات متناثرة.. ومزايذة تدريجياً له على مواقع اقتصادية ومالية مهمة، منها موقع (نيكي) الياباني.

عُرف جمال بعدها كعضو ثم ناطق باسم (المجلس الرئاسي المصري الأمريكي)، الذي ضم رجال أعمال من البلدين. وانطلقت التغطية الإعلامية له.. ومعها الحديث عن "الجمهورية"^(٢)، ومع انتقادات سياسية للفكرة، حسب معهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى، شهد سيناريو "التوريث" وقتها تحولات جوهرية بانضمام جمال. يناير ٢٠٠٠، رسمياً للحزب الحاكم، أو (إن.دي.بي)، كما تعرفه الصحف الغربية اختصاراً، وبدأ مبارك بتركيز الانتباه على ابنه جمال، فلم يعد يمر أسبوع دون أن تُنشر صورته وأرائه، غالباً بالصفحة الأولى، لكن (المباركان)، الأب والابن، كررا النفي، ونسب للأب - تعليقاً على عدم تسميته نائباً له - "قد اختار شخص يرفضه الشعب"، ولأسامة الباز "جمال لا يجري وراء أي منصب رسمي، إنه شاب يهتم بمستقبل بلاده".

(الحزب الوطني) الذي أصبح بوابة "الصعود الألي لجمال" كما وصفه [www.nationalreview.com](http://www.nationalreview.com/comment/comment_aheri010203.asp)

comment comment aheri010203 asp في ٣-١-٢٠٠٣، حملة المتابعون للقضية بأقصى التوصيفات. تقرير معهد الشرق الأدنى قال أنه "غارق في عقدين من فساد الحرس القديم.. والقصور الذاتي"، مضيقاً.. وحتى لو "التزم جمال بوعود الإصلاح، سيحتاج جهوداً جبارة، تتطلب فريقاً كاملاً". وقالت

ديلي ستار.. "أنه لم يُخلق متماسكاً فكرياً، يُصور نفسه اشتراكي أحياناً.. ورأسمالي أحياناً، إسلامياً وعلمانياً في آن واحد..". فـ "الحزب الذي يدعي أن عضويته ٤,٦ مليون، يجذب عوائل ريفية، تتنافس مع جيرانها على الرعاية الحكومية، وسياسيين انتهازيين، يريدون فقط مقعد برلماني، أو أصحاب مصلحة، هدفهم صنّاع القرار، بالتالي يجذب القليل جداً من المؤمنين حقاً بمبادئهم".

توصيفات الحزب السلبية كثيرة جداً، على حسان القضاء عليها جاء جمال. والمعاركة مع "الحرس القديم" رصدتها الصحف المصرية، وأشارت أكثر من جريدة غربية إلى دور بارز لـ (العربي) الناصري.. وكيف تمت بـ "إيلام شديد للحرس".. بحجة "جلب دم وفكر جديدين للحزب الذي يبدو - حسب ديلي ستار - الأقل قدرة سياسياً بين منافسيه".

فمع نهاية مؤتمر الوطني، سبتمبر الماضي، امتلأت الصحف الأجنبية بتعليقات عن "المذبحة" و"الصعود الألي". أخذت ديلي ستار مانشيت (العربي).. "نهاية عصر والي.. مؤكدة أنه لم يكن مؤتمراً بقدر ما كان سلماً لتصعيد (الوريث)، وقالت ليبراسيون الفرنسية "مصر تتجه لتوريث الرئاسة لأسرة مبارك"، وتحدثت الواشنطن تايمز عن "الوقت المناسب جداً للقفزة الأعظم لجمال"، مستندة في إحدى فقراتها لقراءة (العربي)، التي وصفتها باليسارية، لنتائج المعركة.

أسفرت المعركة عن انتصار "مجموعة جمال" (١)، نقرأ أسمائهم على موقع www.rccnet.net/home/spreportiegy.htm، ممدوح البلتاجي، زكريا عزمي، يوسف بطرس غالي، محمود محي الدين، نادية مكرم عبيد، حسين كامل بهاء الدين، ورجل الأعمال أحمد الزيات، وعضوا مجلس الشعب هشام عواد، وحسام بدرأوي.. وعلي الدين هلال.. أو "دسوقي".

علي الدين هلال أو (دسوقي)، رأت نيويورك تايمز في ٣-١٠-٢٠٠٢، أنه "المُعبر" عن الفريق الجديد.. أو أنه هو نفسه "المُجدد"، قال لها: قدمنا مبادئ ودم جديدين في المؤتمر. دسوقي سخر من المطالب الأمريكي بتصدير الديمقراطية، واصفاً (كوندوليزا رايس) -مشوحاً- بأنها تحلم".

محررة النيويورك أسندت لدبلوماسيين غربيين وصفها لدسوقي بأنه "منظر الدم الجديد"، والمعلم السياسي لمن يُنظر إليه على نحو متزايد كـ"ورث"، مُشددة على أن ما حدث "مجرد تزيين لنخبة جديدة من جيل أصغر".." وأنه لا حديث عن ديمقراطية حقيقية أو عن إصلاح فاعل".

دسوقي دافع بأنهم يسرون نحو طريق ثالث للحزب، كجسر بين الحزب بطرازه القديم والراдикаليين"، مشيراً إلى لجنة خاصة لمطاردة الفساد بالحزب يرأسها القاضي (عادل قورة). المحررة تركت تصريحات دسوقي، وعادت إلى الدبلوماسيين الغربيين،

الذين قللوا من أهمية الحديث عن التجديد والانفتاح الاقتصادي، لأن "المناخ السياسي العام يظل قمعياً".

جمال، الذي رأت الواشنطن تايمز أنه اكتسب بعض الشعبية من معركته مع فساد الحرس القديم، وصفه تقرير لصوت أمريكا بأنه يمثل مصالح رجال الأعمال، في حين قال لها (أحمد الزيات)، صديق جمال، والذي اختير معه ضمن "زعماء العالم القادمين".." أن "مصر ليست ملكية".." والرئيس مبارك كما اعتقد ضد التوريث".." ومع ذلك "اعتقد أن جمال زعيم عظيم".

في المقابل رأى (تيم سوليفان) الأستاذ بالجامعة الأمريكية أن "جمال لامع جداً، وشاب ليق".." لكنه "يجب أن يأتي عبر انتخابات نزيهة، ليكتسب أوراق اعتماده السياسية". تيم رأى أيضاً أن "مصر ليست من جمهوريات الموز، ولن يكون التوريث مثل طرفة الإصبع".." فهو يحتاج لكفاح مُريد".

هل جمال أت.. أت.. كما يُصر البعض؟. سؤال شغل من كتبوا عن "القضية"، فالمسألة لا تتوقف عند تصفية الحرس القديم، كما نبيه تقرير معهد الشرق الأوسط، فهناك "مؤسسات حاسمة" في مصر يجب أن تدعمه، وإذا لم تدعمه، يفرد المعهد بتزويج شخص آخر، قادر على خوض انتخابات الرئاسة إذا تمت بحرية.. (اللواء عبدالسلام محجوب).." الحاكم الناجح جداً للإسكندرية".

* (مصريات) نظم استطلاعاً موازياً، رفض ٩٢% من المشاركين فيه فكرة الثوريت.

يسرعة

* أكثر من موقع تشجع لمناقشة الفكرة، منها موقع الأخوان www.ikhwan-info.net، الذي قيل على (محاورات) إنه أغلق باب مناقشتها، وأوضح مشارك آخر بأنه مازال مفتوحا. واكتفى موقع (الممنوع) www.gn؛ mamnoo3.com/mamnoo3 الذي يشرف عليه (عمرو أوديب) بإعادة نشر ما نشرته (العربي)، وأختفى الموقع تماما بعدها.

١٥٠٠*، شاركوا في الاستفتاء على موقع
http://www.petitiononline.com/mod_perl/signed.cgi?ourEgypt
 عائلت كاملة "صوتت"
 بالرفض، وشخصيات عامة، منها الشاعرة عليه الجعار والفنانان
 هاني سلامة ومحمد منير.. والزميل جمال فهمي.

هوامش

- (١) قتل حرس مبارك فيها مواطناً قيل أنه كان يرفع سكيناً، وتبين من التحقيقات أنه كان يرفع ورقة/ شكوى لتقديمها إلى مبارك.
- (٢) "أنساب الأخيار" التي أحاطت بالحزب المُجهض وقتها ضمت خليطاً عجيباً من ناصريين وليبراليين ومستقلين!
- (٣) أصبح مفهوماً أنها المؤسسة العسكرية. في ٧ سبتمبر ٢٠٠٨ كتب الزميل عبد الله السنوي تقريراً خطيراً بجريدة العربي عن لقاء "عصبي" جمع المشير الراحل عبد الحليم أبو غزالة بمبارك الأب عقب إعلان الأول نيته المنافسة في انتخابات ٢٠٠٥ الرئاسية، وشهد اللقاء تحذير صريح من رفض المؤسسة الوطنية لسيناريو التوريث وخطورته على استقرار البلد.
- (٤) أثار حوار هيكمل مع الزميل عادل حموده وقتها غضب الرئاسة، حتى أن رئيس تحرير (الفجر) الآن توقع إقالته من منصبه كرئيس تحرير "فعلي" لروزا.. فأخذ أجازة اختيارية حتى مُلِّب منه العودة للعمل.
- (٥) مؤتمر تطبيعي ضم وقتها رموز سلطة وثروة من مصر والأردن وإسرائيل.
- (٦) "الجمهورية".. نحت لغوي لـ(د. سعد الدين إبراهيم) في مقال شهير له بنفس العنوان. وقيل على نطاق أنه سبب غضب العينة عليه.

(٧) جرت على خريطة رجال جمال تغيرات ملاحقة، وكاد أن يحتكي منها أصحاب الشعر الأبيض.

تداعيات

تداعيات

صحف العالم تشيد بجرأة (العربي)

في شهادة جديدة لصدق شعار (العربي)... حرية تكفي ألف صحيفة، بثت وكالة (أسوشيتد برس) تقريراً مطولاً عن مستقبل النظام السياسي في مصر والاستفتاء على توريث الرئاسة عبر الإنترنت، مشيرة إلى أن (العربي) هي الجريدة المصرية الوحيدة^(١) التي اخترقت أسقف المحاذير السياسية وتعرضت لقضية وصفتها بـ"الحساسة".

التقرير الذي تماشى مع فقرات مطولة من التقارير الثلاثة التي نشرتها (العربي) التي تغطيها "صحف العالم" - بدون مبالغة - وأعدت نشره، من بينها (هيرالد تريبيون)^(٢) و (هيرالد ميامي) و (ديلي ستار) و (الجارديان) و (هآرتس) الصهيونية و (إيطاليا اليوم) الناطقة بالإنجليزية و (البائس) أبرز الجرائد الأسبانية. ومن هونج كونج إلى صحف عربية، فضلاً عن بث التقرير وصور فوتوغرافية لتقارير (العربي) على مواقع الإنترنت.

العربي ص ١ عدد ١٩ - ١ - ٢٠٠٣

(١) رأى محكموا "جائزة الانفراد" بنقلها الصحفيين أن الملف غير صالح للفوز بها عام ٢٠٠٤، وذهبت الجائزة لابنة (مفيد فوزي) عن حوار لها مع (يوسف السباعي) نشر في (نصف الدنيا)، التي كانت ترأس تحريرها (سناء البيسي)، البيسي كانت من بين المحكمين.

(٢) وثائق: تقرير الوكالة كما نشرته (الهيرالد تريبيون).

أول نفي من مبارك للتوريث. (١)

أكد الرئيس مبارك أنه لا توريث للحكم، ووصف فكرة التوريث بأنها شائعة ظهرت وألفها بعض الناس وصدقوها.

وقال الرئيس مبارك في حديث تليفوني للإذاعي (عمر بطيئة)، بثه التليفزيون على قناته الأولى، إن نظام مصر جمهوري، لا توريث فيه للحكم، ولا توجد أساساً فكرة لهذا الموضوع.

وأشار الرئيس مبارك، الذي تعرض لوعكة صحية خلال إلقاء كلمة أمام مجلس الشعب أواخر العام الماضي، إلى أنه يتمنى ظهور العديد من الشباب حتى تكون هناك قاعدة عريضة لخدمة المجتمع في كل المجالات.

أول يناير ٢٠٠٤ م

الأمم المتحدة هوامش

(١) نقلًا عن موقع هيئة الاستعلامات.. ووكالات الأنباء.

الجمهورية

صحافة التوريث

للمعارك أسلحتها المختلفة.. منها الإعلام وفي القلب منه الصحافة. ومن المعارك ما هو بالنسبة لنا "فخار يكسر بعضه".. كما هي بين الحرس القديم وفريق التوريث. في تغطيتها لزيارة جمال مبارك الأهم لواشنطن - يوليو الماضي- توقفت (سمدار بيرى) مُحررة الشؤون العربية عامة والمصرية خاصة بـ (يديعوت أحرنوت) عند مشاركة الصحفيين (أسامة الغزالي حرب) و (عبد المنعم سعيد) في الوفد المرافق لنجل الرئيس، وبعدها بسطرين تحدثت عن زعماء عرب أعدوا أبناءهم لخلافاتهم، مُستطردة: لكن في مصر العملية مختلفة.. يعدون (جمال) من الأسفل ليُسلم ملايين المصريين بالأمر الواقع، بواسطة الصحافة المؤيدة.

وفي رصده لمعركة تكسير العظام بين الحرس القديم وفريق التوريث، ينقل موقع (إيلاف) المؤيد بشدة لـ "البر البريين الجدد" الأسبوع الماضي، شكوى "الفريق" من أن وزراء ومسؤولين كبار من الحرس يحرضون صحفًا مختلفة على ملاحقة أعضاء الفريق على صفحات الجرائد.

وبالتوازي مع تدرجات صعود جمال الإعلامي والسياسي، تابعنا مئات المقالات التي تنظر له.. لرؤاه المستقبلية (!)، ومنذ أشهر اقترنت عبارة "المقربة لجمال مبارك" بصحف حديثة الصدور نسبياً. وفي أحد اجتماعات لجنة السياسات شن جمال هجوماً حاداً على جريدة (مايو) في حضور رئيس تحريرها (سمير رجب).. وقيل إنه وصفها بأنها "ثورة ما يصدرهاش تلامذة بمدرسة"، ثم كرر هجومه بصورة أخف رداً على تصريحات لـ (صفوت الشريف) ^(١) للجريدة منتصف مايو الماضي، وهو ما اعتبره كثيرون مقدمة للتخلص من الجريدة، التي قيل إن جمال أخذ منذ لحظات صعوده الأولى موقفاً سلبياً منها.. ومن اسمها.

و(مايو) والمؤسسة الصحفية التي يرأس مجلس إدارتها وتحريرها سمير رجب.. (دار التحرير)، أخذت موقفاً ملفتاً من آخر حلقات تكسير النظام، فلم تنشر أيًا من مطبوعاتها خبر ترشيح صفوت لرئاسة مجلس الشورى حتى انتخابه فعلاً، لكن سمير نفى لنا ذلك، وأرسل لنا ثلاث نسخ من مايو والجمهورية نتحدث عن ترشيح رئيس جديد للشورى بدلاً من مصطفى كمال حلمي.

قلت لـ (رجب): لكنك لم تذكر الاسم صراحة. رد.. ومن ذكره؟. أشرت له لعدة صحف قومية ومستقلة، فعلق.. ذكرناه يوم ترشيحه.. في الطبعة الثانية.

سمير نفى غضب جمال على مايو، مشيراً إلى تأكيده أكثر من مرة على تطورها.. وإثارتها الهادئة وبموضوعية للقضايا المختلفة. سمير، الذي يكمل عامه الخامس والستين في ٨/٢٥ المقبل، نفى تماماً أية نية لدى أصحاب "الفكر الجديد" للتخلص من مايو، أو أن تكون (المستقبل الجديد) منافساً أو بديلاً، وإن لم ينف صلتها بالحزب.. قائلاً: "طب ما (الأحرار) بيطلع عشرين جريدة، مشيراً إلى أنه وافق بخط يده على رئاسة (محمد أبو الحديد) ^(٢) من (الجمهورية) لتحرير (المستقبل الجديد). بينما كنا نتحدث كانت (الجمهورية) تنشر في صفحاتها الأولى الثلاثاء الماضي، التهنية الأولى والوحيدة لـ (لشريف) على ثقة (مبارك) وتوليته رئاسة الشورى.

لم تتفرد الإصدارات التي يقودها سمير بعدم نشر ترشيح ولا اسم صفوت للشورى، فـ (نهضة مصر) التي يصنفها البعض بـ "المقربة من جمال"، أو من لجنة السياسات لم تنشر هي الأخرى، لكن الأسباب مختلفة.. بل إن أحد أعدادها توقف طبعه بالأهرام منتصف الليل لتغيير المانشيت الذي يتحدث عن ترشيح صفوت واضطرت إدارتها لتغييره والابتعاد عن القضية كلها.

غير أن رئيس تحريرها التنفيذي (محمد حسن الألفي) ^(٣) يستبعد أية علاقة مباشرة للشريف بـ "التضييق" على (نهضة مصر) كجزء من الصراع داخل النظام قائلاً: هذا تصرف ينطوي على حساسية موظف في رقابة المطبوعات بوزارة الإعلام أراد أن يجامل وزيره، وهو تصرف نتفهمه ونقدّه.. رغم تعرضنا

لأذى نفسي ومهني كبير، فالكل ينشر سوانا، رغم أننا كان لدينا القصة كلها، الألفي حرص هنا على التعبير عن احترامه للشريف ودوره في تسهيل صدور نهضة مصر.

في سياق المعركة، وقبلها، نشطت كتابات وصحف أخرى دعماً لما يسمونه "الفريق الإصلاحي"، ففي (روزا اليوسف)، ومنذ عامين تناقص مدير تحريرها (كرم جبر) ^(١) ونائب رئيس تحريرها (عبدالله كمال) ^(٢) على تغطية أنشطة.. والترويج لفريق جمال، ولإصلاحه القادم لا محالة، في الحزب.. وفي الدولة.

كرم وعدنا بالحدث وحدد أكثر من موعد واتصلنا.. بلا مجيب. بينما على مواقع النت التي تقاوم التوريت تطارده عبارات حادة بعضها يسخر من وصفه لجمال.. بأنه "عمل لسنوات مثل أي شاب مصري.. حتى وجد عملاً في بنك بعد طول شقاء، وسخريّة أخرى من (حسنين كروم) في (القدس العربي) من "الشباب الذي نزل بالبارشوات".

عبدالله كمال بادرنّا بالهجوم.. ففضية التوريت نحن افتعلناها لنبتز البرنامج الإصلاحي بإطلاق سحب دخان، ونهدر الحقوق الدستورية لمواطن هو "السيد" جمال مبارك-لاحظ تسييده له- استناداً لصفته العائلية.

عبدالله أشار لنا إلى تأييده لأي فكر إصلاحي عبر كتاباته في (روزا) بصفتها مجلة مستنيرة سواء كان سياسياً أو إقليمياً، صادر عن الوطني أو المعارضة.. التجمع مثلاً أو عن مكتبة الإسكندرية. وذكرنا بنفسي مبارك "أية نوايا للتوريت وتهلل

(العربي) لنفسه.. ثم عودتها لإثارة القضية، مؤكداً أنه ضد التوريت، وفي نفس الوقت يدرك أن "السيد" جمال "طاقة مُحركة وروية جامعة لبرنامج جيل كامل"، متّهما المعارضة بعدم طرح رؤى بديلة لما يطرحه الإصلاحيون والاكتفاء بمطالب هلامية، بينما "السيد" جمال نجح خلال أربع سنوات في إحياء الحزب الهش وأن يملأ الساحة. (عبدالله) نفى أيضاً وجود توجه بين صحفيين أو صحف لتأييد الفريق الإصلاحي، فمن وجهة نظره أن هذا الجيل الإصلاحي يفتقد الإعلام الذي يعبر عنه.

من الصحف التي طالتها اتهامات "المُقرّبة من.. (المصري اليوم)، الممولة من مجموعة رجال أعمال.. الطبقة المتحالفة مع الفريق الإصلاحي/ التوريتي، واستمرار جمال في تأثيره على الحكم استمرار لمكاسب حققتها الربع قرن الأخير. والمصري اليوم تحديدًا، ومنذ أول أعدادها شنت حملة ضد الشريف، في اختراق لخط أحمر معروف، حتى قيل "تنتقد مبارك ولا تنتقد الشريف"، واستمرت حملتها.. قبل وبعد ترشيحه للتوري، وكأنها تشارك في التمهيد للإطاحة به، كما أن الجريدة التي اقتربت من الرئاسة، في عدة مقالات وفي مانشيت وحيد، لم تقترب بحرف من التوريت.

هل نفشّر في الضمائر كما اتهمنا عبدالله كمال؟ حملنا تساؤلاتنا إلى (أنور الهواري) ^(١) رئيس تحرير (المصري اليوم)، اتصلنا أكثر من مرة، والخميس الماضي حولونا على مكتبه لنجد إجابة حاسمة "يا أستاذ أنت تركت فكرتك وكلامك ودخلناه للأستاذ

أنور.. وهو ما قررنا برده لحد دلوقت". حاولنا التعليق فجاء الرد مع "زهق".. يعني أنا عارف الموضوع أهو.. ح تبقى نتصل بك".

مع (نهضة مصر) تتزايد الاتهامات، لكن رئيس تحريرها التنفيذي محمد حسن الألفي رد بأن الجريدة ليست مملوكة لأي شخص ولا لأية مجموعة.. مالكة الوحيد هو القارئ، ولا تسعى للتعبير عن فئة بعينها أو تمكين شخص بعينه". قلت له لكنها تظل مملوكة للإعلامي (عماد أديب) ^(٧) الذي يرأس تحريرها، وهو الوحيد الذي طالب صراحة بتعيين جمال نانبا؟. الألفي طالبنا بسؤال (الأستاذ عماد) عن رأيه، مضيفاً.. كرئيس تحرير لم يطلب مني في أي وقت مئالة مركز أو شخص.. أو الانحياز لتوجه معين، نحن منفتحون على سياسة تحريرية تتحاز لمصالح الناس والمستقبل.. لأن البلد شاخت، وهو ما انعكس على عمق الخيال والفشل في إيجاد حلول لمشكلات مصر".

قلت له: لكن هناك كتابات واضحة الدلالة لمن يحسبون على فريق التوريث مثل (محمد كمال) و(عبد المنعم سعيد)؟. فأجاب: لم أشعر من كتاباتهما أنهما يعبران عن ذلك، هما يكتبان عن توجهات رأيا أنها تصب في مصلحة بلدهما.. وكيفية التعامل مع المستقبل. وسأعل: تتادون بالحرية وتطالبون بمنع الآخرين من الكتابة؟. ثم إن (نهضة مصر) تنشر في نفس الوقت توجهات ورؤى متباينة.. بعضها ينتقد توجهات (كمال وعبد المنعم).. هذه هي الليبرالية الحقيقية.

لكن هذا الشعور نفسه جلب على (نهضة مصر) الانتقادات، فقد ارتبط الليبراليون الجدد بالتوريث.. وبأشياء أخرى، (الألفي) نفى تماماً تأييد الجريدة لتوريث "جمال مبارك أو جمال عبدالناصر. أو أي جمال". على حد تعبيره، مستطرداً نحن دعاة تحديث لا توريث. وذكرنا بأن (عماد أديب) أصدر قبل أكثر من عشر سنوات جريدة (العالم اليوم) التي تدعو لليبرالية الاقتصادية التي يؤمن بها، والآن أصدر جريدة تعبر عن الليبرالية السياسية، التي أيضاً يؤمن بها.

الموقف مع (المستقبل الجديد) مختلف، فرئيس تحريرها يؤكد في افتتاحية الخميس الماضي.. "الجريدة مفعرة عن لجنة السياسات.. ولا أعرف ما الذي يزجج في ذلك". كان محمد أبو الحديد يعلق على تقرير نشرته (العربي) الأسبوع الماضي دون أن يسميها، رافضاً تصنيف البعض للمستقبل وفقاً لهواه.. وأن يضعها في خانة ثم يبحث عن أسانيد لهذا التصنيف".

قبلها بيومين نفى لنا أية علاقة له بـ"اللجنة"، مؤكداً أنه والصحفيون العاملون معه لا علاقة لهم أصلاً بالحزب. واتهمنا مثل عبدالله كمال بأننا اللي طلعنا حكاية التوريث.. ده عندكم بس". سألته عن تشابه الاسم مع (جمعية جيل المستقبل).. التي يرأسها جمال؟. فقال: وأيه يعني ما فيه جريدة (المستقبل) اللبنانية، موضحاً أن ترخيص جريدته لندني ولا علاقة لها بالجمعية، وأن التشابه بينهما ينحصر في الاهتمام بالمستقبل والإصلاح والشباب.

قلت له.. هل انحصروا في شخص جمال؟. فأجاب.. ده تطور طبيعى، ماهو ماسك أهم لجنة في الحزب الحاكم، ومنها تمر كل السياسات.. المهم يفتح طريق للشباب.. وإلى عنده حد بديل يورينا.

سألته كيف وكل شيء في أيديهم.. فلم يجب. عندما سألته عن تمويل الجريدة وعن اتهام البعض لها بأنها صدرت عن مجموعة رجال أعمال لا علاقة لهم بجمال ويتمسحون به، طلب منى سؤال رئيس مجلس الإدارة (أحمد رشدان).

حول مقر المستقبل الجديد بعمارات عثمان خلف الميرلاند، حراسة أمنية مشددة، وفي المداخل كاميرات مراقبة.. ففى نفس البرج مكتب لـ (جمال أو علاء) ^(١٤). سألت رجل الأعمال أحمد رشدان عن تمسحه بمجموعة السياسات، فلم يغضب. قال: "ح أقرب له ليه؟.. جمال موش اللي بيرزق.. كل اللي عاوزينه اتنا نربط الشباب بالسلطة.. الشباب عاطل ضايع، ده بيفقده انتماؤه لبلده".

قلت له والاسم والمقر؟. قال الاسم عادى والمقر صدفة.. أملك ثلاثة أدوار بالبرج.. وصندفة أن مكتب فلان أو علان فيه.. ثم أنا ما أعرفش إن كان له مكتب هنا أم لا؟. ثم جمال ماله؟. اسمعنى جمال؟. أجابنى: اللي نعرفه أحسن من اللي مانعرفوش، وليه نظلمه.. لأنه ابن الرئيس، ليه ما نجردوش من صفته العائلية ونحكم عليه.. هو أثبت نجاحه.

قلت له: لكن غيره واللى مانعرفوش لم يأخذ فرصته؟. فقال: موش عاوزين ضغائن بين الأحزاب. ^(١) علامات التعجب من عندنا. (رشدان) رفض إمكانية "الورث"، المفردة له، خلافاً لسوريا، لأن التيارات السياسية في مصر، من وجهة نظره، أقوى من (جمال).. ولن تسمح بـ "الورث". رغم ذلك فجر (رشدان) فتيلة، لو صدقت، كدليل من وجهة نظره على صدق التوجهات الإصلاحية. قال: الرئيس لما يرجع ^(٢) ح يدعم كل التيارات، وح يشكل حكومة ائتلافية، وح يعين معارضين كمحافظين.. وكمان ح يستقيل من رئاسة الوطنى.. ومين غير (جمال) يقدر يمك الوطنى. سألته دى معلومات مؤكدة؟. فقال.. بل توقعات. وربما كانت تسريبات أو بالونات اختبار لجس النبض.. فنحن في يوليو ^(٣).

هوامش

- (١) توافرت تقارير متابعة التغييرات الصحفية الأخيرة على أن (الشريف) كان يُقاتل، دون جدوى، لاستثناء (رجب) منها. لكنه ظل رئيساً لـ (مايو) حتى أزيح منها واستبدلت بـ (الوطني اليوم).
- (٢) أصبح رئيساً لمجلس إدارة دار التحرير بدلاً من (رجب).
- (٣) ترك نهضة مصر لرأس تحرير (الوطني اليوم) التي حلت مكان مايو كمنطقة باسم الحزب الحاكم.
- (٤) تولى رئاسة مجلس إدارة روز اليوسف.
- (٥) تولى رئاسة تحرير روز اليوسف.
- (٦) فيما بعد تولى رئاسة تحرير الوفد، كان رافضاً بشدة لاحتجاب الصحف احتجاجاً على حيم رؤساء التحرير وسخر من المحتجبين، استقال من الوفد نهاية يناير ٢٠٠٨.
- (٧) أجرى فيما بعد الحوار المثير للجدل مع مبارك (كلمتي للتاريخ)، وفاد الحملة الإعلامية لمبارك كمرشح للرئاسة.
- (٨) "مكتب" جمال يحتل الدورين (١٩ / ٢٠) بأحد أبراج عثمان، ونشرت (الغد) أنه تكلف للتجهيز والتأمين "٨٨" مليون جنيه تحت إشراف المهندس (إسماعيل عثمان) ووزير الإسكان (إبراهيم سليمان).
- (٩) كان مبارك يعالج وقتها بألمانيا.
- (١٠) ترددت وقتها أقاويل عن عرض قدم من فريق جمال لأسماء وقوى سياسية بارزة، لدعم توريثه مقابل حزمة إصلاحات، منها الإخوان.

انتعاش لوبي التوريث

تبدو المشادة التي شهدتها ندوة "واقع الإعلام العربي" ونظمها هيئة الإذاعة البريطانية الأربعة الماضي، خير دلالة على ما تشهده مصر، الزميل (أنور الهواري) رئيس تحرير (المصري اليوم)، أحدث الإصدارات الصحفية، يدخل في النقاش محثداً.. عن "الفساد المستشري.. وفقدان البلد للقدرة على إنتاج الأخبار.. و.."، ويرد عليه نقيب الصحفيين الأسبق ورئيس تحرير (المصور).. (مكرم محمد أحمد) ^(١) متجاوزاً، عن الجانب السياسي في انتقادات الهواري، ومركزاً عما وصفه بـ "الجانب المهني" في (المصري اليوم)، مشيراً إلى سبعة أخبار بصفتها الأولى رآها خطأ كلها.. خاصة ما يتعلق بتولي (ممدوح النبلتاجي) وزارة الإعلام.. بينما يؤكد منذ الإقالة التمهيدية لـ (صفوت الشريف) أن (فاروق حسني) سيتولاها مؤقتاً.. وأثناء تحليله كان الهواري يقاطعه محثداً في نقاشه. انسحب مكرم، ليوجه الهواري رصاصاته إلى الأستاذ محمود المراغي ^(٢) على المنصة!.

ليس مجرد صراع أجيال.. وليست مجرد لقطة في الهواء. كان مكرم محقاً في انتقاده المهني.. خاصة ما يتعلق بالنبلتاجي،

وللهواري وكل صحفي مصر كل العذر أمام غياب الشفافية،
وتعتمد النظام التعتيم لتضليل الرأي العام.. وفي القلب منه الإعلام،
لميملى هواء القاهرة بتكهنات وإشاعات.. وأقاويل.. وأشباه
الأخبار.

أنقل ما في هواء القاهرة ما حدث لأبرز أقطاب الحرس
القديم.. كانت مفاجأة بكل المقاييس، فالشريف كان المرشح الأول
لرئاسة الوزراء.. حتى لو اعتبر البعض ترشيحه "استبعادا لفوق".
فقبل أيام من تسرب خبر إقالته، تحديدا في ١٧/٦، كانت وكالة
أنباء الشرق الأوسط الرسمية تبث تصريحات نقلها عنه رئيس
التحرير محفوظ الأنصاري^(١).. أنه عرض على الرئيس صباح
أمس تقريرا تفصيليا، حول نتائج اجتماعات عقدها الأسبوعين
الماضيين مع (عاطف عبيد) وعدد من وزرائه، لمناقشة ما يتعلق
بتقييم السياسات التي تضمنتها أوراق مؤتمر الحزب الوطنى
٢٠٠٣، ونقلت الوكالة الرسمية.. أنه عرض على مبارك ما
استقر عليه رأي الحكومة والحزب بالنسبة لتعديلات قانون
الملكية.

في نفس اليوم.. وفي ذات السياق صرح الشريف لـ(الشرق
الأوسط) اللندنية.. "عرضت على الرئيس ملفات الاجتماع العادي
لمجلس الوزراء منها تعديلات قانون الجنسية، وسبل حل الخلاف
بين القوات المسلحة والشرطة حول القبول بمعاهد وكليات
الشرطة والقوات المسلحة، وتعديل القرار لحرمان المتجنسين من
الالتحاق بها". وقال الشريف إن الرئيس كلفه بالدعوة إلى اجتماع

اليوم مع رئيس الوزراء وآخرين لمناقشة ورقة المواطنة التي
أقرها الحزب فى المؤتمر الماضى، كدستور لتعامله مع
المواطنين. بعدها خرجت (الخميس) المقررة من الشريف بخبر
قصير على صفحتها الأولى، اقتصرت كلماته على اجتماع
الشريف مع مبارك لثلاث ساعات.. وأن الاجتماع تعلق بالتغيير
الوزارى المنتظر.

هكذا.. تصريحات وتكليفات رسمية تنشرها الوكالة الرسمية
عن مهام للشريف تتجاوز رئيس الوزراء.. كانت الإشارات
واضحة.

غير أن للاتجاه المخالف إشارات، التي ازدادت يوما بعد
آخر، منذ ما نشيت الأهرام الشهر ١٨/٦.. أي اليوم التالي
لتصريحات الشريف، والذي صاغ تقريره إبراهيم نافع^(٢) رئيس
تحرير ومجلس إدارة المؤسسة الصحفية الأكبر، وأكد فيه أنه من
المنتظر أن تغيب وجوه كثيرة عن الحكومة فى تشكيلها الجديد
"خاصة الذين أمضوا فترة طويلة فى مناصبهم".. وقتها لم يتوقع
أحد أن الإشارة تطال الشريف، لكن (روزا اليوسف) فى عدد ١٩/
٦ نشرت تقريرين ممن يدعمان فريق التوريث^(٣)، عنوان أحدهما
فريق التطوير يضرب ضربه الكبرى فى أكتوبر المقبل.

أعلن قرار الإقالة أو ترشيح الشريف لمجلس الشورى، وقبلها
بساعات روى زملاء كيف دخل الشريف المجلس فى منتهى
السعادة يوم الأحد، حتى أن عبيد "إتهز" على حد تعبير أحد
الزملاء.

أعلن القرار لندخل في دوامة "ما يتردد". أولها.. وخلافاً للبيانات الرسمية أن الشريف علم بالقرار عبر وسيط، وأنه ظل يحاول الاتصال بالرئيس دون جدوى حتى عصر الأحد، وأنه طلب من البعض تأجيل نشر القرار لأنه متأكد أن وصوله للرئيس سيعني إلغاء القرار. وهو ما فعله سمير رجب. و"تردد" أن مشادة كلامية وقعت بينه وبين جمال مبارك.. بينما المؤكد أن جمال كان وقتها بجوار والده. و"تردد" أن وراء الإقالة أن الشريف خرج من لقائه مع مبارك.. و"علق بما لا يجب ترديده أمام مقربين إليه".. وهي واقعة مستبعدة، سواء لعمق العلاقة بين الوزير والرئيس.. أو لحنكة (الشريف). و"تردد" أن الشريف اقترح إعلان التشكيل الوزاري قبل سفر الرئيس للعلاج وأن يحلف الوزراء اليمين أمامه وهو جالس على كرسيه.. الاقتراح أشار إليه سمير رجب في فواصله، وهو ما كان رد فعله قاسياً على البعض.. عاطفياً^(١).

أقوى "ما يتردد" أن الإطاحة بالشريف هي التدشين الحقيقي لسيناريو التوريث المجدد، وترددت تحليلات رغم نفي مبارك الصريح، ورغم اتفاق المراقبين الأجانب الذين تابعوا احتمالات الخلافة الأيام الأخيرة على تراجع فرص جمال بشدة.

وإذا كان كاتبان بحجم (سلامة أحمد سلامة ومحمد سيد أحمد) في الأهرام والأهالي قد التقطوا، بعد الإطاحة بصفوت، دلالة توقيت صورة جمال على "النيوزويك" مع عنوان عن مستقبل مصر، وتأكيد سيد أحمد على أنها رسالة لـ "قريب جمال" للتحرك، فإن الكاتب المصري المقيم في لندن (محمد عبدالحكم دياب) رصد

في (القدس العربي) ١٩/٦ وقائع صدام علني على صفحات الجرائد بين (جمال وصفوت)، راه مبرراً للإطاحة بوزير الإعلام القوي.

دياب تحدث عن سر العودة القوية لجمال إلى الضوء بعد غياب أسابيع، وعن أن عودته قوبلت بتصريحات قوية من الشريف لجريدة (مايو)^(٢)، وهو المرشح من بقايا الحرس القديم لرئاسة الوزارة، وأن التصريحات محاولة لسحب البساط من تحت أقدام "الابن"، بتأكيد أن قرار التغيير يملكه مبارك.. لا أحد غيره.. يقصد أن (جمال) لا شأن له بالتغيير. يواصل دياب "عندما نتابع مؤتمر جمال الصحفي الرئيس المولاي والوريث المؤجل - وفقاً لتعبير دياب - عن استعدادات مؤتمر الحزب في سبتمبر المقبل، نرى الوجه الآخر للصورة، فجمال يشدد على أن أمانة السياسات هي المعنية بالسياسات العامة، ويقلل من أهمية مايو، وهو ما فسر باتجاه لإلغاء صحافة الحزب".

لا يهمنا - الآن - تقييم دياب لـ "الابن" ورؤاه من دعم الفقراء بصفته رجل أعمال وإبن الخبرة المصرية الأمريكية، ولا رصده لأبرز الأسماء المحيطة بسيناوي التوريث، ما يهمنا، هو "ما يتردد" عن أن نقل الشريف إلى الشوري ليس سوى مقدمة لتصفيد جمال أميناً للحزب، فلا يصح سياسياً أن يكون أمين عام الحزب الحاكم هو نفسه رئيس اللجنة التي تجيز وترفض الأحزاب بصفته رئيساً لمجلس الشوري. وإن إطاحة الشريف مقدمة لتصفية باقي الحرس القديم والإتيان بـ "قريب جمال" على كل المستويات، وهو

ما حدث في تعيينات مجلس الشورى، التي شملت ستة أسماء، صريحة في انتمائها لفريق التوريث، أبرزها محمد كمال^(١) الذي سافر لواشنطن بصحبة أسامة الغزالي حرب — ثم التجديد له بمجلس الشورى — عقب مؤتمر الإسكندرية للإصلاح لمناقشة وثيقته مع دوائر أمريكية. كمال جلس على منصة مجلس الشورى في جلسته الافتتاحية بصفته أحد أصغر عضوين بالمجلس.

صيفة وشكل جلوس محمد كمال على المنصة يشيان بتركيبه فريقه. كان أقل ما يوصف به أنه "خفيف"، تعليقاته — التي حذفت فيما بعد — اخترقت أسماع الناس عبر البث على الهواء.. خبط على يد مدير الجلسة الذي هو أكبر الأعضاء سناً وسأل: "هو ده من الحزب". يقصد ناجي الشهابي رئيس حزب "الجيل"، وبعد دقائق رأيناه يضحك ساخراً، وهو مازال على المنصة ويشير على شخص ما. وتصادف وقتها أن الكاميرا كانت تتابع حلف وزير السياحة ممدوح البلتاجي — متأففاً — ليمين العضوية. للتأفف كان واضحاً أيضاً على صفوت الشريف خاصة بعد مفاجأة ترشيح د. أسامة شلتوت^(٢) لنفسه ضده على رئاسة المجلس.

صيفة وشكل جلسة كمال التي تستعيد صورة وأسلوب كمال الشاذلي، اتسقت مع هجمة واضحة وفجة الأسبوعين الماضيين لفريق التوريث، فأحد أبرز منتظريه، عبدالمنعم سعيد، طالب ضمن التغييرات المتوقعة، بأن تتولى المجموعة الجديدة في الحزب تطبيق برنامجها لبيع كل ما تملكه الدولة من مؤسسات ومصانع في مدة خمس سنوات.. ولا تزيد على عشر، ويتصفية

الجهات الإدارية للدولة، وأنه لا بد من الإعلان عن نظام رأسمالي سافر.. وعلى الجميع الانصياع لذلك.. كتعبيره الحرفي.

شكل جلسة (كمال) التي تكشف انتعاش فريق التوريث، طبقتها بصورة سافرة جريدة (المستقبل) الناطقة شبه الرسمية باسم "الفريق" في عددها الرابع بمانشيت أكثر فجاجة.. "بعد الخطوة الأولى".. أي الإطاحة بصفوت أقوى رجال الحرس القديم.

يقول المانشيت.. "الخطوة الثانية في خطة التطوير — جمال مبارك يقود الوطني في المرحلة المقبلة". وتحت صورة على اليمين بالألوان لمبارك تقابلها على اليسار صورة لجمال بنفس الحجم. جمال ظهر في "بروفيل مخدم"، كما اعتقد من اختاروا الصورة. على وجهه نظارة أمريكاني "لاكلايه".. والطريف — بالطبع صدفة — أن زجاجتي النظارة انعكست فيهما سجاجيد التشريرة الحمراء.

تفاصيل المانشيت تقول "مصادر (المستقبل) رشحت جمال مبارك أمين السياسات، رئيس المجلس الأعلى للسياسات وعضو هيئة مكتب الأمانة العامة للحزب الوطني لقيادة الحزب في المرحلة المقبلة، وتحمل مسئولية عملية الإصلاح السياسي والاقتصادي بالتعاون مع الحكومة، وفقاً لما يتخذه المؤتمر السنوي المقبل للحزب من قرارات، وما يقره من رؤى وسياسات. وأن تولى جمال قيادة الحزب يمثل تطوراً طبيعياً في مسار العملية السياسية الحزبية التي بدأها الحزب بزعامه مبارك في المؤتمر العام سبتمبر ٢٠٠٢، والذي طرح فيه الحزب شعار فكر جديد

تعبيراً عن الفريق الإصلاحي الذي يترجمه جمال ممثلاً لجبل كامل جديد فتح له الطريق للمشاركة في القيادة وتحمل المسؤولية. وأضافت المصادر أن طرح الفكر الجديد، وإعادة هيكلة الحزب واستحداث أمانة السياسات كان المرحلة الأولى لتمثيل كل الأجيال في القيادة، وأكدت المصادر أن الفترة التي مرت منذ مؤتمر سبتمبر ٢٠٠٣، كانت كافية لإظهار الفترات القيادية لجمال، وانخراطه بعمق في الحياة السياسية والحزبية الداخلية، وفي الشؤون الخارجية، وإلمامه بتفاصيل العمل الوطني بما ساهم في صقل خبراته وتأهيله لموقع أعلى وأكثر فعالية.

وقالت المصادر: إن الشرعية المتاحة أمام جمال هي الشرعية السياسية، والتي تحققها له قيادته للحزب، بشقيها، الجماهيري الذي يمثله الحزب في الشارع المصري والنيابي الذي يوفره الحزب باعتباره صاحب الأغلبية في مجلس الشعب. وأن هذه الشرعية ليست سابقة التجهيز لشخص جمال وإنما هي لجبل كامل ظل لوقت طويل محروماً من المشاركة في العمل الوطني وصنع القرار السياسي، وحين الوقت ليحصل على حقه. وتوقعت المصادر أن ينعكس هذا الاتجاه على تشكيل الحكومة الجديدة بوضوح، وأن يكون أكثر من نصف الحقائق الوزارية لتتأثر الإصلاح ومؤيديه ليتحقق التجانس بين العمل السياسي والتنفيذي. وأن مؤتمر الحزب في سبتمبر المقبل سيكون تدشيناً للقيادة الجديدة وبرنامجهما الإصلاحي...

انتهى أول بيان لفريق التوريث، الذي "يتردد" أنه عرض على قوى سياسية فاعلة مع قرب موعد تقديم برنامج الإصلاحي بولسيو المقبل، وكصيغة متكاملة من وجهة نظره... أن يأتي التوريث بحزمة إصلاحات مقابل الموافقة عليه، تفاصيل الصفقة غير معروفة، وإن كان منها إلغاء شرط التمييز بين الأحزاب للترخيص بها، وتخفيف قيود إصدار الصحف والقنوات الفضائية وإلغاء قانون الطوارئ.. واختيار الرئيس بين أكثر من مرشح مع توقع من فريق التوريث أنه يمكنه الفوز في انتخابات "محكومة" بنسبة تقترب من نسب الأغلبية في الديمقراطيات الغربية. الغريب أن (محمد حبيب) النائب الأول لمرشد الإخوان قال لـ (صوت أمريكا) قبل أيام.. "إنه لا يهم من يأتي.. جمال أو غيره.. المهم أن يأتي من بين أكثر من مرشح وبحزمة إصلاحات".

ومن الطبيعي أن تحصل الإطاحة بصفوت وتصعيد جمال وفريقه المساحة الأكبر من فضاء "ما يتردد".. لكن يظل على الهامش عدد منها تخص أسماء أخرى. منها أن (كمال الشاذلي) وعد بالاستمرار في منصبه فأعلن ذلك للمحيطين به.. وأقيمت حفلة.. ذبح فيها ما ذبح، لكن الشاذلي عاد لقلقه بعد الإطاحة بالشريف، خاصة بعد "ما تردد" عن القبض على (النحاس) (١٠).. القائم بـ "الدرستي ورك"، وأنه أدلى باعترافات مكتوبة. مع ذلك تردد أن الشاذلي وعد برئاسة مجلس الشعب.. في نوفمبر المقبل.

وخلافا لتأكيدات الشريف بأنه آخر وزير أصلي - لا مؤقت - للإعلام تتردد أسماء عديدة لخلافته، منها ممدوح البلتاجي^(١١) ومنها المرشح الدائم للإعلام مصطفى الفقي، ومنها حسن حامد. مبررات اختيار وزير إعلام خلفا للشريف.. أخبثها تنقيده وعده بأنه الوزير الأخير للإعلام، وأكثرها واقعية أن تحويل الإعلام إلى هيئة يستدعي تعديلات تشريعية تستغرق وقتاً. أكثر من اسم تتردد للإعلام.. وضعفها لرئاسة الوزارة، من عبيد نفسه إلى جودت الملط ومدحت حسنين وفاروق العقدة وزكريا عزمي.. ود. إسماعيل سراج الدين، بل إن إحدى مشاركات موقع هيئة الإذاعة البريطانية عن مستقبل مصر رشت زكي أبو عامر.

آخر ما تتردد أن أظرف مغلفة تركت.. على أن تفتح في توقيتات محددة سلفاً، أولها الإطاحة بالشريف.. وليس آخرها تسمية نائب من قيادات مؤسسة وطنية تم تصعيدها مؤخراً.

٢٠٠٤-٧-٢٧

هوامش

- (١) حل محله في رئاسة تحرير المصور (عبدالقادر شبيب)، الآن نقيب الصحفيين.
- (٢) توفى إلى رحمة الله بتاريخ ١٢-١٠-٢٠٠٤ إثر حادث سير اليوم.
- (٣) حل محله في رئاسة الوكالة (عبدالله حسن).
- (٤) حل محله في رئاسة التحرير (أسامة سرايا) ورئاسة مجلس الإدارة (صلاح الغمري).
- (٥) كرم جبر وعبدالله كمال.
- (٦) تردد أن الاقتراح استغفر حرم الرئيس، لأنه يظهره بصورة الضعيف.
- (٧) انتهت مسيرة مايو لتحل مكانها (الوطني اليوم).
- (٨) من مهامه متابعة إصدارات تدعم فريق الثوريث. المتحدث الرسمي باسم لجنة السياسات. مدير مركز الدراسات الأمريكية بجامعة القاهرة. رشح وزيراً للإعلام، قبل أن يتقلدها أس الفقي. مرشح دائم لوزارة الثقافة.
- (٩) رئيس حزب التكافل.
- (١٠) مازال ملفه مغلقاً.. ولم يُحسم!

(١١) تولى وزارة الإعلام قبل أن يحيله الفكر الجديد خلال أسابيع إلى وزارة الشباب والرياضة.. التي ألغيت بدورها.

خطوات ترسخ مخاوف التوريث الزواج والبابا والزعيم والأحزاب:

كما هو الحال دائما منذ إرهابيات 'نتوء' التوريث الأولى، نفى.. وخطوات عكسية تنفي النفي.
في أسبوع واحد تناقضت المؤشرات. نفس النفي من الإبن في لقاء الإعلامي جمال عنایت، والأهرام - الجريدة الأولى والكبرى - تواصل رصد تحركاته.. كأحد راسي السلطة، خبران في الأولى عن قرب زيارته للشرقية، وثالث عن نتائج زيارته لها، غير التغطيات الأخرى.
في الثالث أعلن حلا نهائيا، حسب تعبيره، لكارثة لاحقت آلاف الفلاحين لسنوات، طاردهم خلالها بنك الائتمان الزراعي بسيف السجن، تنفيذا لفكره الجديد، الذي يهدر دوره كداعم أساسي لصغار المزارعين.. ولمبرر تأسيس البنك في الستينات، التي أكد مبارك الأب، في ذات الأسبوع، لصحيفة (نيهون كيزاي شيمبون) اليابانية أن 'رئيس مصر القادم يجب أن ينبذ الأفكار والنظريات الجامدة التي سادت خلال ستينات القرن الماضي'.

ففي لقاء عنایت بنفي مبارك الابن سعيه للترشح للرئاسة أو لأي منصب (تنفيذي). وهو قبل الحوار وبعده، وأثناءه، يمارس علنا سلطات تنفيذية تعلق الوزراء. يشدد في نفس اللقاء.. همي (تنفيذ) البرنامج الانتخابي للرئيس حتى ٢٠١٠. وهو يبدو، في إعلانه حل مشاكل ضحايا الفكر الجديد لبنك الائتمان، كأنه يقدم هدية زواجه (١)، والتي تبدو بدورها، محاولة لاكتساب شعبية. فعشرات (التنفيذيين) مروا على صرخات ٨٥ ألف أسرة لسنوات، دون حل.. حتى وعد بحلها هو.

اكتساب الشعبية حق، وربما واجب، لأي سياسي.. لكن على أي سند دستوري أو قانوني. ومن الطبيعي ألا يصدق أحد النفي.. من أصغر متابع للهم العام.. إلى البابا شنودة الثالث.. رأس الكنيسة و"الشعب القبطي" الذي عنون برقية تهنئته بالزواج:

(السيد جمال مبارك)

برئاسة الجمهورية - القاهرة

(.....)

عادل إمام.. الزعيم الكوميدي أيضا لم يصدق النفي، فمع تأكيده أنه "مازلت أعيش عيشة الطبقة المتوسطة"، يناشده عبر النيوزويك الأمريكية يا ريت جمال يرشح نفسه ويصبح رئيسا لمصر (٠٠) نحتاج إلى شخص قوي.

الأهم ما سربته أوساط الحزب الحاكم.. أو لجنة سياساته، وهو تحديث لتسريبات قديمة عن "الحاكم المدني" أو الرافعة المدنية للسلطة.

التسريبات القديمة/ الجديدة تحدثت عن تنشيط التيارات المدنية والطبقة الوسطى.. والنخب المهنية، وتمكينها من استعادة دورها كقاطرة لأي إصلاح، والتحول إلى الدولة "الناهضة" كما وصفها أحد مروجي التوريث في سلسلة مقالات. أهم القديم ما أورثته جريدة "المستقبل" يونيو ٢٠٠٤ وقت رئاسة الزميل محمد أبو الحديد لها، وإشارتها مباشرة إلى حزمة إصلاحات.. تأتي في ركناب جمال. "المستقبل"، التي لم ير أبو الحديد - رئيس تحرير الجمهورية الحالي - عيبا في نطقها باسم الفكر الجديد، توقع رئيس مجلس إدارتها رجل الأعمال أحمد رشدان لـ (العربي) في يوليو ٢٠٠٤ أن الرئيس "ح يدعم كل التيارات، وح يشكل حكومة ائتلافية، وح يعين معارضين كمحافظين".

قبل اكتمال هيئته الاجتماعية بزفافه، تجددت التسريبات، "مطلوبة" لعاشر مرة، تحدثت عن إتاحة الفرصة أمام الأحزاب لاحتلال مقاعد أكثر في البرلمان.. والمشاركة في صنع القرار السياسي.

"العرض" الذي قيل أنه وصل لقادة الأحزاب الكبرى.. ورموز سياسية نشطت الأعوام الثلاثة الماضية، ملخصه.. أن المجلسين التشريعيين سيحلان عقب إقرار القوانين المكملة للدستور، وإن آلية الانتخابات بعد التعديلات الدستورية.. وإبعاد الغطاء عن الإشراف عليها، تسمح بتقسيمات محسوبة، تصل إلى ٤٠ - ٤٥ % لـ "غير" الحزب الوطني من المجلسين.. وأن "العرض" قد يتطور إلى حكومة ائتلافية (!!). فالمهم، من وجهة

نظير هذا الفريق.. وفي نظام رئاسي كما النظام المصري.. هو المنصب الذي تتمحور حوله كل السلطات.

صفحة/ إجراء واضح لقيادات وأحزاب تشعر أن الحراك السياسي قد يفرز من طرحها خارج اللعبة. حصان طروادة جديد، يمر عبره الإبن كرئيس منتخب في لعبة تبدو نزيهة، وكأنه يحظى بقبول "التيارات المدنية الرئيسية"، وهو ما قد يخفف استقطابات خارجية، وتحفظات.. أو رفض "مؤسسات داخلية" لها تأثيرها الحاسم على إتمام التوريث.

العرض طرحه ما يسمى بالجناح الإصلاحى، وتؤكد أنه نوقش بقوة داخل لجنة السياسات.. وأن هناك دعماً كبيراً له من منظري التوريث، وأن تنشيطه بفعالية أكثر سينتظر عودة مبارك الابن من شهر عمله بباريس.

مع تأكيدنا من الطرح، حاولنا توثيق "القصة" من أبرز إصلاحي السياسات وأكثرهم قرباً وتواصلاً من المعارضة.. خاصة "الليبرال" منها، اتصلنا بد. حسام بدرأوى، الوحيد الذي أفصح صراحة عن نية جمال الترشح للرئاسة.. لم يجب. بعثنا له برسالتى محمول بهما نقاطها الأساسية وارتباطها به.. لم يجب.

لد. علي الدين هلال دوراً أساسياً في التنقيف السياسي لمبارك الأب مع توليه السلطة.. ثم للابن، وتصفه نيو يورك تايمز بـ "المعبر عن الفريق الجديد".. و"المعلم السياسي لمن يُنظر إليه على نحو متزايد كوريث". د. علي لم ينف "نية" الحزب اتاحة مجال أوسع أمام باقي الأحزاب، مذكراً بتصريحات قديمة له

ولجمال عن ترحيب الوطني بتفعيل الحياة الحزبية وعن دور أكبر لها في العمل السياسي والبرلماني معاً. وزير الشباب والرياضة السابق رأي أن التعديلات الدستورية الأخيرة هي أكبر مؤشر على صدق نوايا الحزب، وعلى سعيه لتمثيل أوسع لمعارضيه.. وعدم رغبته في الاستئثار بصنع القرار. لكنه رفض الحديث عن نسبة معينة "لأننا في لعبة ديمقراطية مفتوحة"، أو عن صفقة أو إجراء للأحزاب لتدخل اللعبة، وسخر من طرح فكرة الحكومة الائتلافية، مشدداً: لم أسمع بها. لكن عدم سماعه بها، كما استطرد "لا يمنع الحزب من الاستعانة بكوادر يراها ستخدم البلد في أي منصب وزاري". "عبداناصر استعان بوزيرين من الإخوان، والسادات استعان بأستاذنا د. فؤاد مرسى - رحمه الله - وأستاذنا د. إسماعيل صبري عبدالله - أطال الله عمره -، دون أن يتحدث أحد عن حكومة ائتلافية مع الإخوان أو مع اليسار".

قبل التعديلات الدستورية الأخيرة، تفجرت خلافات، وصلت إلى درجة المشادات، داخل الهيئة العليا، عقب الحديث عن "صفقة ما"، افترضا لقاء جمع رئيسه محمود أباطة بجمال مبارك وصفوت الشريف بترتيب من الأخير، الذي عقد بعدها لقائين منفردين مع أباطة، قيل وقتها أن الوطني عرض "أكثر من ٥% لكل من الأحزاب الكبرى، وتضاعف العرض في التسريبات الأخيرة.. للوفد تحديداً. وكما لم نستطع الحصول على تأكيد أو نفي من د. حسام بدرأوى.. فشلنا في الحصول على إجابة من أباطة.

داخل الهيئة العليا للوفد برزت معارضة أعضاءها.. السيد البدوي وفؤاد بدرأوى وطلعت جاد الله، لتتسق أباطة مع الفكر

الجديد". السدوي نفى إمكانية طرح الصيغة أصلاً.. لأن تلوفد دوره وثقله التاريخي.. فهو "يشغل بالقضايا العامة ولا يقبل مبدأ الصفقات"، موضحاً أن معارضته لجلسات أباطة مع جمال والشريف تركزت على "رفض أي تقارب مع الحزب الحاكم.. لتعارض مبادئ الحزبين"، كما نفى علمه بأية لقاءات أو عروض بعد التعديلات الدستورية، مؤكداً: لم تصل إلى علمي. لكن زميله في الهيئة العليا طلعت جاد الله أرجع النفي إلى أباطة نفسه، الذي أكد في اجتماع مشتمل للهيئة العليا، قبل التعديلات، أنه لم تعرض عليه أية نسب.. لا خمسة ولا عشرة %، وأنه لم يجلس لعقد صفقات. لكن طلعت لم ينف ما وصفه توقعات بعقلانية من الفكر الجديد، أن يكفي بأغلبية معقولة.. خاصة مع نتائج الاستفتاء التي خلت من ألـ ٩٩% الشهيرة، لكنه يستطرد "هذه أمنية لا معلومات.. ولا أتوقع أن يفعلوها".

بغفوية علق "صباح الغل عليهم". بداية، ثم قال د. رفعت السعيد رئيس حزب التجمع، وبحسم: لم تصلني أية عروض.. لا أساس لكل هذا ولا معقولة.. لا أصنق ولا أحب أن أعلق. ثم أكمل: المجلس لن يحل.. خذها مني كلمة، طول عمرهم يقولون ويوعدون، وهم بالتجربة يذوبون شوقاً للسيطرة التامة. يقولون كلاماً كبيراً وكثيراً، وعند التنفيذ.. أو أول ما تعارضهم، يتناسون كل ما قالوه.

٢٠٠٧-٥-١١

هوامش

(١) احتفل شاعر الشعب أحمد فؤاد نجم مع العنات في ميدان طلعت حرب بخطوبة جمال بقصيدته "عريس الدولة". قرآن جمال على خديجة الجمال عقد في ٢٨ أبريل ٢٠٠٧، والزفاف في ٤ مايو من ذات العام.. يوم عيد ميلاد مبارك الأب أـ (٧٩).

السينما تتهم "الوطني" ببيع البلد.. حته حته

لأنها المرأة الصادقة لمجتمعها أدانت السينما في أحكامها
المتابعة الحزب الحاكم، فاضحة ممارساته ودعمه لسيطرة الفساد
على كل مستوياته.. وعلى مقدرات البلد.

فهو حسب بشير الديك.. "فكرة الحزب أصلاً غائبة عن
بنيانه"، وهم لا يحتفلون مجرد مناقشة تداول السلطة والاحتساب
أحد لهم. في ظله لم نستطع أن نؤمن وطننا صحياً لأبنائنا، ولم
يكن أمام (مصطفى خلف) في (ضد الحكومة) إلا أن يستغيث
بالقضاء باكياً.. "لدي مستقبل هنا أريد أن أحميه".. "أغيثونا..
أغيثونا"، لكنهم يصرون على استمرار الفساد.. يعضون على
أسنانهم بمستوياتهم المختلفة لحمايته، مؤكدين لنا بدون قصد
طبعاً - إن الإصلاح يجب أن يُنتزع.

في فيلم (أيام السادات) انتزع "عراب" الحزب وكبير العائلة
الراحل (أحمد بهاء الدين) من عمله بالكويت إلى "خلوته" مباشرة
ليلاومه على نحته تعبیر "الانفتاح السداح مداح"، بتجاهل حق
(بهاء) في توضيح رؤيته، مضيفاً أنه لم يستدعه لذلك.. بل
لإسباده بقرار تاريخي سيعلنه في افتتاح برلمان ١٩٧٦، وبجزة

سنان كاريكاتورية لـ (السادات/ أحمد زكي) يقول قررت أسمح بتكوين أحزاب.

كنقطة نظام دستورية يذيعه (بهاء) للدستور الذي لا يسمح بذلك، فيسخر من فكرة الشرعية "أنا اللي زي يا أحمد هما اللي بيعملوا الدساتير"، مستطرداً أنه ح ينشأ ثلاثة أحزاب.. "اليسار (ليكو) عشان الاشتراكيين يتكلموا على راحتهم من غير اعتقال"، واليمين. والوسط... يوضح العرب - "ده ح رأسه بنفسه عشان الناس تشجع لدخوله". وفي المشهد التالي مباشرة يتحدث لقياداته الحكومية والحزبية عن ضرورة إلغاء الدعم.

شاهدان فقط من فيلم حاول تمجيد "العرب" بفصحان "الرحم" الذي خرج منه (منبر الوسط/ حزب مصر). لبناته الأولى.. الانفتاح السداح مداح، والسخرية من فكرة احترام الدستور.. سند شرعيته، والدعم.. السند الوحيد لاستمرار رعاياه أحياء، وكان إنغائهم القشة التي فجرت انتفاضة ١٨-١٩ يناير، التي نصّر في أيامه على أنها "انتفاضة حرامية"، وبهذه الحجة "قرر" تأسيس حزب جديد، هذه المرة سيرأسه - فعلاً - بنفسه.. ليتحول القطيع إليه، وكان الانتفاضة كانت ضد الحزب القديم لا ضده.

لكن (زوجة رجل مهم) المنشغل بالتركيبة النفسية السلطوية لأحد رموز قهر "الرعايا"، وفي لقطات "تسجيلية" يرصد لقاءات "العرب" عقب "انتفاضة يناير" بـ (مبارك) وبـ (مدوح سالم). الأخير هو الرئيس الأسبق لحزب مصر، وكان (رؤوف توفيق

محمد خان) يوثقان انتقال السلطة.. في الحزب - من مصر الأولى - والرئاسة معها.

هذا (الحزب الوطني) يُندر أن تهتم السينما بالأحزاب، قبل الثورة تعرض الفيلم الوحيد الذي اقترب منها (من فات قديمه) - ١٩٤٤ - لمذبحة رقابية من الوفد الذي عاد وقتها للحكم في حادث فبراير الشهير، حذفوا ٦٠% منه ليتحول إلى لقطات متفرقة، وبعض من صحافة الوفد حطم الجمهور دار العرض، ومعها المخرج (فريد الجندي) ^(١). الفيلم الذي أنتجه (يحيى) لطفى السيد كان ينتقد الزعيم الوفدي (مصطفى النحاس) وخبرته.. والمحسوبية والرشوة وصفقات توزيع المناصب على أحزاب وحاشية قادة الحزب.

بعد الثورة نلتقط إشارات لفساد الأحزاب وتحالفها مع القصر والاستعمار، وصلت ذروتها في (ناصر ٥٦) ^(٢) حين تجمعت بقايا الوفد بـ "سراي الباشا" للاتفاق على بيان يطالب (ناصر) بالاستسلام ومغادرة الحكم، وعلى تشكيل وزاري بديل للثورة بالتنسيق مع "السفارة البريطانية".. بينما العدوان الثلاثي يحرق بقاياه مدن القناة وسيناء.

إشارات أكثر طالت الأحزاب الحالية، في (خاطبيطة) مثلاً، يستلهمها (مدحت السباعي) - كلها - بتسويه الواقع، وفي (ضد الحكومة) يرفض المحامي (مصطفى خلف) الدعم المادي من حزب معارض والمعنوي من جريدته. وفي (الهروب للقيمة) (عادل الأعصر) يتحول اللص (سيد الهوا) إلى (وجدي الزيني)

مرشح حزب معارض واحد أجنحة مافيا السلاح لمجلس الشعب، وبعد فوزه يصبح مخلب قط تحت القبة للصراع مع قائد جناح مافيا منافس.. من قادة الحزب الوطني، ومن الطبيعي أن تنتهي استجوابات "المخلب" لقائد "الجناح الوطني" بشكر المجلس بأغلبه "الوطنية" لحوت تجارة السلاح الأكبر، حتى يفاجأ (الزيني) الجميع في مؤتمر حزبه المعارض بخطاب تطهري يفضح فيه تاريخه وفساد حزبه.. والفساد الأكبر بالحزب الحاكم.

ومن الطبيعي أن يكون للوطني نصيب الأسد في اهتمام السينما بالأحزاب، لأن رموزه وقيادته تسيطر على كل شيء.. من الميكروباص لشئون الفكر كما يقول (شير النيك)، ولأن رائحة عفته تطارد الجميع.. كتعبير- (وحيد حامد).

ومع الترميز لاغتياح "عرابه" في (الغول)، يرصد (شوانر) رحلة صعود أحد رموزه- أحمد بدير- من الاتحاد الاشتراكي إلى منبر الوسط ثم حزب مصر ثم (الوطني).. وارتباط الصعود بفساده الأخلاقي والسياسي.

نفس الرحلة نجد ذروتها في (الراقصة والسياسي) لـ (وحيد حامد وسمير سيف)، فالراقصة-نبيلة عبيد- تروج الحزب، بتهددها بكتابة مذكراتها المليئة بفضائح الحزب، منها "قوادة قيادة سياسية لها، تراه في التلفزيون يتحدث عن انشغاله بهموم الغلابة، فتذكر كيف "لف" عشرين ألف جنيه.. "عرق جسمها" في إحدى عمليات "قوادته"، وعندما تقرر أن تلجأ إليه لتجاوز رفض الترخيص لها بإنشاء ملجأ أيتام لأنها راقصة، يهرب.. فتهدد

بكتابة مذكراتها، وتلتهب خطوط التليفونات بتساؤلات قادة الحزب والحكومة.. "اسمى موجود". وكأن الفيلم يقارن بين مفهوم الشرف لدى الفريدين.. الراقصة/ الداعرة سابقا وسياسي الحزب، الذي وفقا للداعرة/ الراقصة "يسرق أحلام الناس زي ما سرق عرق جسدنا".

ودائما هناك اشارات بعشرات الأفلام لفساد الوطني.. ولأجواء تحالفاته مع رجال الانفتاح وناهبي القروض ومستوردي الأسلحة الفاسدة. وحيد حامد لا ينسى هذه الإشارات في كل أفلامه، من (المنسي) نلتقط نماذج لتعليقاتهم على بعضهم البعض: "الفاوس هي كل شيء عندنا".."عندهم قدرة ع بيع أي شيء لتحقيق صفقاتهم"، وحينما يطلب أحدهم من سكرتيرته أن "تتقرب" من أحد الوزراء ترد عليه "ما تقدم له مراتك". يجيبها بحسرة للأسف ما خاينتي في عينه، ومع تصاعد الأحداث لا يوقف "تجبر" تحالف رجال الأعمال والحزب إلا استيقاظ الناس/ الشعب من النوم.

الوزراء، يكشف وحيد حامد في (معالي الوزير) سبل اغتيالهم من بين قادة الحزب، "وزيرهم" أتى بالصدفة ليصدمنا بفساده الذي لا يخجل من ترديده أمام مدير مكتبه.. "عمر ك شوفت واحد بيكتب تقارير في مرأته.. شوفت أسفل من كده". ثم يصف كيف "مصر" ملايين الجنيهات من دماء الشعب، لكنه بمجرد أن يعلم بين أقرانه في الحزب والحكومة يتحول "١٨٠" درجة، منهاهيا باخلاصه ووطنيته. الطريف والمؤجع إن مسؤول كبير

اتصل بوحيد عقب مشاهدته للفيلم ليؤكد له ان خمسة وزراء
"على الأقل" يتشابهون مع بطل (معالي الوزير).

وحيد كان رحيما بالحزب - نسبيا - في (النوم في العمل)،
فقط ياد الحزب المناقشة العلنية لحالة العجز الجنسي - بدلالاتها -
التي تأكل الشعب، بمن فيهم ممثل إحدى دوائر الصعيد (أحمد
عقل)، الذي يتصل بالصحفية (شيرين أبو النصر) ليحصل منها
على معلومات عن "الوبا" ليناقشه في المجلس، وعندما تحذره من
ضغوط الحزب المتوقعة.. يجيبها "مالوش دعوة بالحزب.. لو
الوبا وصل الصعيد، الصعايدة ح يرموا أنفسهم في النيل ويسدوه".
لكنه سرعان ما يوافق على إغلاق باب المناقشة متناسيا خطورة
"الوبا" على تركيبة الصعيد.

ضربة وحيد الكبرى جاءت في (طوبور الظلام) مع (شريف
عرفه)، نشاهد طرق اختيار عناصر الحزب الفاعلة وطبقة
الانتخابات، وتسخير الشرطة لخدمة الحزب.. ولو بالتحالف مع
تجار المخدرات.. ثم مع "الارهابيين". نشاهد فساد الوزير
و"الطبقة كلها".. سياسيين ورجال أعمال. والأهم اجتماع قادة
الحزب.. و"الهيش" - التعبير للفيلم - واتهامات الفساد فيما بينهم،
والتحذير من "الواد ده اللي خطر علينا كلنا". صاحب التحذير
ممثل قصير القامة لا تصل قدميه للأرض.. انه نفس الوزير في
(الإرهاب والكباب)^(٨)، وكان وحيد في الفيلمين يُصر على "أنهم"
غير جديرين بمقاعدهم.. حتى من الناحية الشكلية.

١- بل (طوبور الظلام) اتهم (بشير الديك) والراحل (عاطف
الطبيب) في (ضد الحكومة) الحزب وحكومته بتدمير مستقبل
الوطن وتحويله لـ "بلد نخره السوس، بنيانه يوشك أن يتداعى".
والطبيب الشهير (د. إبراهيم) الذي يربي ابن البطل - مصطفى
خلف - وينسبه لنفسه.. هو نفسه قيادي بالحزب.. مُتعرس في
البرامج غير الاخلاقية، والأعلى منه حزبيا (د. عبدالنور) أستاذ
القانون، مستر علمه لخدمة السلطة.. يصف نفسه بالمحامي
الذي يبيع لـ رئيس الوزراء ومعظم مجلسه وقيادات الحزب، ولا
يتورع عن شتمه (مصطفى خلف) - المفصول من النيابة بتهمة
"الفساد" - بالمسجد وتهديده بتاريخه القذر، وعندما يستدعي أحد
انظامي مافيا التعويضات يذكره بصمت الحكومة عليهم.. ويطلبه،
لا يوافق نهيب تعويضات الغلابة، لكن بالضغط على (خلف)
انتهى دهواه بمحاسبة "نظام كامل" بوصفهم "المجرمين الحقيقيين"
في حادثة أبو بريس التلاميذ.

٢- في (ضد الحكومة) نتعرف على أساليب الحزب/ النظام
السيطرة على الرعايا، التعذيب.. تهديد الطبيب الشهير لزوجته
بالطلاق لأن "موقفي حرج جدا في الحزب".. والحكومة والحزب
هو من يسمحوا له إنه يكسبها.. يقصد طليقها (مصطفى خلف).
الوزير القوانسين/ أستاذ القانون/ محامي القيادات يتصرف
بجاهلية.. فلديه ملفات الجميع يستخرجها متى شاء، لكنه يتصعب
دورا ويستجد صارخا بقيادات حزبية أعلى لوقف اتجاه المحكمة
لإسقاط الوزراء لاستجوابهم.

(شجيع السينما) اخراج (علي رجب)، يضيف بعداً جديداً لفضح الوطني. فـ (الغرباوي) يجمع بين عضوية المجلس الرئاسي المصري - الأمريكي ^(٢) والأمانة العامة للحزب، وفضلاً عن رئاسته لجمعية استثمارية.. ويلعب اسكواش ^(١). وهو حسب بطل الفيلم، النجم السينمائي الأشهر، يقود سبعة من الجريمة الكبار و"يبيعوا البلد حنة حنة". وعندما يجمع ضابط الشرطة (عصام) وثائق فضاده وصور لقاءاته مع "الكبار"، يفصل من عمله ويصبح منهما ومطارداً كسفاح، وتصدر تعليمات "من فوق" لمدير أمن الجيزة - هكذا حدده الفيلم - باستبعاد (خالد الشرقاوي).. أكفاً ضباطه من متابعة القضية. و (الغرباوي) يبدو من حوار ضباط الشرطة شخصية حزبية مرموقة، لا يرى حصانة لأحد من بطشه حتى لو كان معبود الجماهير، يصرخ في رجاله "ممثل.. موش ممثل.. إتخلصوا منهم كلهم". وفعلاً - وسط حشد أمني - تتم تصفية (عصام) قبل أن تصل مستندات الادانة لـ (الشرقاوي).

نظام كامل" وهم "المجرمون الحقيقيون" يُشدد (ضد الحكومة).. وتؤكد أفلام وحيد، لكن (موعد مع الرئيس) لـ (المخرج محمد راضي) ينفرد بتركيبة "أبيض وأسود" رجال أعمال يحصلون بطرق ملتوية على إذن قضائي بهدم حي شعبي لبناء مشروع استهلاكي بدلاً منه، بدعم من عضوين بمجلس الشعب/ وطني، وتتصدى لهم عضوة ثالثة منه - إلهام شاهين -، فيمارس تحالف الفساد ضد زميلته بالحزب والمجلس كل أساليب

الاعراء والوعيد.. منها خطف ابنتها.. والضغط عليها عبر المكثب السياسي للحزب. لكن رئيس المجلس رفعت المحجوب وفقاً لأداء سعد أردش - يقف بجانبها، ولأن الحزب بدون بناء حقيقي لا يعلم الرئيس بالمشكلة إلا صدفة حينما شاهدها بالتلفزيون، يحدد ميعاداً للقاءها.. مع ذلك لا يرتدع تحالف الفساد وتستمر محاولات تصفيتها أثناء توجهها للقاء مبارك.. تتجو وتلقيه فتنتهي المشكلة.

تركيبة أبيض وأسود مقابل صورة سوداء في باقي الأفلام، نجيبنا وحيد موش جانيب حاجة من عندي، ده إللي بيحصل على الساحة.. من مجلس الشعب لأصغر حنة بالبلد، يؤكد "مافيش نموذج جيد"، ويستطرد "أنا مثل أي فنان حلمه الكبير إنه يعيش في مجتمع مثالي.. لكن ريحة العفن بتطارده الناس".. "لازم نخليهم عبرة لردع غيرهم.. الحزب الحاكم زي القدر.. نصيبنا ولازم نعمل على تنظيفه".. "يجب التخلص منهم في أقرب وقت".. مع ذلك لو الحزب فيه إيجابيات ح تلاقيني معاها.. لكنني لن أشكر واحد لأنه ما سرقشي". بشير الديك اتفق معه في صدق الرؤية السوداء - الواقعية.. "ح نجيب لهم نماذج بيضة منين؟". واكتفى علي رجب بالسؤال: "شوف قوى الفساد واصله لفين؟".

"الأبيض" ربما جاء في (موعد مع الرئيس) من تخوفات رقابية، لكن وحيد وبشير نغيا أي تدخل رقابي، بينما يعتقد علي رجب "هم ما خدوش بالهم من اللقطات دي.. باعتبار إن شجيع

السيما فيلم تافه كما يعتقد البعض، يضيف: كنت حريصاً على ألا
أسلط الأضواء عليها لتمر.. ومرت.
والثلاثة لا يتوقعون أفقا جديداً للحزب مع شعارات الإصلاح
والحوار والمواطنة، لتتغير معه رؤيتهم للحزب في أفلام قادمة.
سألته عن نماذج من الوطني تجذبهم درامياً فاتفق وحيد وبشير
على شخصية فجة يبدو كالقبضاي (٥).. في حين رأى علي أنهم
زري الدود خارجين من زلعة واحدة.

٩-١١-٢٠٠٣

هوامش

(١) أخرج بعد (من فات قديمه) فيلماً تسجيلياً وآخر روائياً.. ثم

توقف.

(٢) سيناريو محفوظ عبدالرحمن وإخراج محمد فاضل.

(٣) كان جمال مبارك عضواً ثم متحدثاً رسمياً باسم المجلس الذي

يضم رجال أعمال من السبكين تحت رئاسة مبارك ونائب الرئيس
الأمريكي.

(٤) الرياضة المفضلة لمبارك الأب، قبل اعتقال صحته.

(٥) يقصدان كمال الشاذلي.

ضد التيار

فتح ملف تنحي مبارك

مع تصعيد دعوات التغيير، كثفت وسائل الإعلام الدولية متابعتها لـ "المخاض" الذي تعيشه مصر.

أقدمت هيئة الإذاعة البريطانية بثقلها الإعلامي والتاريخي على خطوة فريدة بفتح ملف مطالبة (مبارك) بالتنحي، داعية زوار موقعها-الأفضل في العالم حسب أهرام الأربعماء الماضي - بالتعليق على بيان حركة (كفاية)، وانهالت الآراء التي توفقت مع تجميد "الدعوة للمشاركة" بالموقع قبل العيد

http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/talking_point/newsid.3952865/3952000.stm

مجرد طرح الفكرة لقي اعتراضاً من مصريين شاركوا في الاستطلاع، برر (إسلام عمر) رفضه بـ "بلادنا.. ولا بحق لأحد سوانا أن يقرر لها، الموضوع ليس للنقاش". مدافعاً عن (مبارك) الذي نجح "بسياسته الحكيمة أن يؤخر قدر المستطاع اندلاع الحروب بالشرق الأوسط، وأيده (جرجس عبد المسيح - شبرا) مطالباً أن تأتي بي سي" والمشاركين برفع أيديهم عن مصر "الاستقرار والأمان"، لأن "مبارك جدد البنية الأساسية ووفر الأمن

وليه نظرة مستقبلية وحكيم بتصرفاته، وليس هناك من هو أفضل منه.

(إسلام وجر جس) كانا بين قلة دافعت عن استمرار (مبارك) وعن إنجازاته، (شريف فاروق - القاهرة) تساءل "لماذا يتنحي وهو القادر الوحيد علي إدارة البلاد؟ أنا ضد توريث السلطة، وأعلن الرئيس ذلك مراراً، كما أنني ضد ترشيح أكثر من شخص للرئاسة، فنحن دولة نامية تعاني من أزمة سياسية، وسنفتح الطريق أمام الرأسماليين للتحكم في ترشيح الرئيس"، ووصل تأييد (إبراهيم الفار - دمياط) للتحذير من أن "التنحي كارثة على الشعب".

المؤيدون غضبوا من تحذيرات لمشاركين عرب لـ "الدیناصورات" العرب من نفس مصير صدام، منهم (حسين علي الموسوي - بغداد)، ومواطنه (محمد) الذي تمنى لمصر تغييراً بدون حروب، لكن العرب كما (أبو أحمد الموسوي - السعودية) دافعوا عن مشاركتهم بـ "لا اعتقد أن بقاء مبارك شأن داخلي"، ورأي (عماد حسن الطاهر - الخرطوم) أن "هذا المطلوب ليس مقصوداً على مصر"، واتفق معه (سالم - الكويت) لأن "التغيير في مصر - إن حصل - سينقل لباقى العرب"، وأيضاً (محمد هشام - المنصورة) الذي قال "لو فعلها، سيخلده التاريخ العربي، فعنوى الديمقراطية سينقل إلى كل العرب".

الإنجازات التى تحدث عنها المؤيدون قوبلت بنفي أغلبية ساحقة من المشاركين، وطالبهم (نهى عبدالحميد جمعة) بتحديداتها، فهي مصرية مثلهم.. ولدت وعاشت في مصر ولا تجد إنجازاً

يذكر، مضيفة بسخرية "إلا إذا كانت الكباري والأنفاق والتلفونات إنجازات"، في المقابل.. كانت مبررات الداعين للتنحي لا تحصي منها حلم (عودة أبو عواد - سيناء) بسماع "الرئيس السابق" بدلاً من "الراحل"، وتأكيد (حسين كمال - القاهرة) "لا بد من التغيير والانتخاب المباشر والمنافسة على الحكم" ويكفى إننا محكومون بفكر ونظام مؤبد ٢٣ سنة.

رفض فكرة "التأييد" رفعه كثيرون، (خالد ومحمد - مصر) "التغيير تأخر كثيراً (..) حالة إحباط يعانيها الشعب في ظل حكومات مبارك المتعاقبة، حتى أنه "ما يقتش فارقة عنده.. وتطرق لمواضيع كانت تعتبر خطأ أحمر"، (محمد) حذر من أن الوسائل السلمية حال فشلها قد تتبعها وسائل أخرى لا يحمد عقباها.

وعلى حد تعبير (محمد علي - القاهرة) فإن "كل مصري يتمنى أن يصحو من نومه ليجد بلداً ديمقراطياً حقيقة لا بالشعارات ولا بتسويق للأمال الزائفة في التغيير تحت مسميات مكشوفة مثل (الحزب الوطني والفكر الجديد).

(محمد عفيفي إبراهيم - مقيم بالدوحة) مهد لرايه بأنه "لا خلاف على أنه بذل كل مجهود لصالح مصر". لكن (عفيفي) مع ذلك طالبه بالتنحي لأن "مصريون كثيرون يمكنهم إحداث تغييرات سياسية واقتصادية بحاجة ماسة إليها الآن..". خاصة مع زيادة الضغوط الاقتصادية على كاهل المصريين الذين يعيشون على أمل التغيير أو وعوده. مُحذراً من أنه "بدون هذا الأمل يكفر

المصري بمصريته. نفس الرأي تقريباً طرحه مواطنه (محمد سيد عبيد) لأن التغيير مطلوب دائماً حتى يكون هناك سياسة وفكر جديان، متمنيا أن تشهد انتخابات مثل أمريكا لـ "يختار الشعب من يحكمه لأول مرة".

(ريم - طنطا) تبسط القضية قائلة: عندما يتولى شخص مسؤولية ما فإن أمامه طريقين: إذا نجح فيها استمر، وإذا أخفق يفسح المجال لغيره، وهي ترى فشلاً أضرب ٧٠ مليون مصري.. لذا تنضم لمؤيدي التتحي. (محمد أحمد - القاهرة) وسع مطالبته فالانتقادات والمطالبات بالتغيير لا تقف عند الرئيس وحده بل يجب أن تطال كل الأجهزة.. وزارات وهيئات ورؤساء تحرير.. إلخ.. فلا يخفى على أحد حجم الفساد داخل الدولة، متمسكاً: لماذا البلدان الأخرى ينعم أفرادها بحقوق الإنسان البسيطة؟ ويستند (عادل المصري) إلى فشل مبارك في إيجاد نائب له طوال حكمه، وينضم له (م. ح. - الدقهلية) متعجباً من تنحية أي شخصية وطنية نشطة طوال ٢٤ سنة مضت. (محمد هشام - المنصورة) لخص رأيه الداعم للتتحي بأن التاريخ سيذكر أن عبد الناصر والسادات أخطأا لأنهما فعلا كذا وكذا.. أما مبارك فسيذكر له إنه أخطأ لأنه (لم) يفعل كذا وكذا..، ويصل التقييم مع (مواطن من المنوفية) إلى أن "مصر تعيش أسوأ فترة على مدى حضارتها، فقر وجهل، واستبداد وعريضة من الحكومة والشرطة، وأسوأ عصور الحرية، ليس هناك شيء يدعو إلى التفاؤل". ومع (أشرف - المنصورة) إلى أن نظامه وحكوماته المتعاقبة شردوا

أبناء مصر واستأثروا بثرواتها لأنفسهم وأقاربهم وحرموها منها الشعب. وازداد الفقير فقراً ويزداد ثراء.

فالوضع وفقاً لـ (حسام السيد - القاهرة) مقلق جداً وتحتاج ٥٠ عاماً لإصلاح الفساد السياسي والاقتصادي الذي سببه النظام، وفرص التنمية حسب (أحمد إبراهيم - القاهرة) أضاعها تولي الكهول من أهل الثقة أهم المناصب، والحل هو التغيير كما يقول (عباس - الدقهلية) لتسري دماء جديدة لمواجهة والمهيمنين على السلطة.. بشرط أن لا يكون التغيير بجمال مبارك رئيساً.

التخوف من التوريث عبر عنه آخرون. لكن غيرهم طالبوا بأن نجيب من الآخر "طارحين تقنين الملكية الجمهورية"، فـ (علي البغدادي - بغداد) لا يعتقد إنه سيستجيب للتتحي، وقد يرشح ولده بعده، مقترحاً أن ينصب نفسه ملكاً، وبعده جمال، مع رئيس وزراء يحكم.. مثل ملكة بريطانيا. الفكرة لقيت صدى لدى (محمد الحسيني طه - أبو ظبي)، والنتيجة يتحول النظام من جمهوري إلى ملكي.. وهو الملك، فإذا تولى جمال الحكم بعده يصبح الأمر طبيعياً. أفضل من أن ينتظر الشعب سنة أخرى ليحتفل باليوبيل البرونزي لـ ٢٥ سنة على حكمه، وأجدى من النفخ في قرب مقطوعة.

قربة مقطوعة.. تعبير يأس، تماس معه عديدون، فحسب (حسين كمال - القاهرة).. "مصر محكوم عليها منذ الأزل بأن حاكمها لا يتنازل إلى أن يموت أو يغتال، ويصف (سيد علي - القاهرة) التتحي بأنه "أحلام اليقظة"، أما (محمد السعيد فرج -

القاهرة) فيرجع بأسسه إلى أن "الشعب فقد القدرة على إدارة شؤونه". مع ذلك فهو متمسك بـ"اعطائه الحق في تقرير مصيره حتى لو أدى ذلك إلى كارثة"، وأرجع (أبو أحمد الموسوي-السعودية) ضعف الشعب إلى أنه تحت تأثير التتويم المغنطيسي، وإيهامه بأن قيادة مبارك هي الأفضل، في حين أرجع خمسة مشاركين بأسهم إلى أن قرار التنحي لن يصدر من القاهرة.. بل من واشنطن.

بين تأييد مبارك ومطالبته بالتنحي.. واليأس، طرح البعض حلولاً وسطاً، منها إصلاحاً تدريجياً حقيقياً كما شدد (ممدوح وديع وخالـد- القاهرة) واقترح خالد مجلساً أعلى للرئاسة يقوده مبارك وعدد من نوابه في مناخ يسمح للجميع بإظهار قدراتهم وكسب ثقة الشعب، ومنها موافقة (إبراهيم- القاهرة) على ترشيحه فترة أخيرة، بشرط تغيير الدستور في عهده، لينص على عدم جواز ترشيح أي رئيس مستقبلاً لأكثر من فترتين، واختياره من بين مرشحين متعددين. وأن يكون منصب الرئيس شرفياً. في حين طالب (جلال فهمي- القاهرة) الـ بي بي سي بـ"استفتاء بين قرانها المصريين على رئيس الجمهورية القادم، من بين ثلاثة أسماء.. جمال مبارك، عمرو موسى، مصطفى الفقي". أما (أرمانيوس- القاهرة) فقد وعد مبارك "إذا تنحي بأن التاريخ سيكتب اسمه بالنور".

٢٠٠٤-١١-٢١

منافسة مبارك

"المنصب/ الرئيس"، ليس فقط قاطرة الدولة كما الديمقراطيات المعروفة.. خاصة الجمهوريات الرئاسية منها، بل "هو الدولة.. والدولة هو".

على حجمه تضبط قواها ومكانتها الإقليمية والدولية.. اما أن تأخذ حجمها الذي تستحقه أو تتكتم تدريجياً كما حدث لمصر العقود الثلاث الماضية، فلا إصلاح لأحوالها إلا بإنزاله من ذات رئاسية فوق مواطنيها إلى "محل للتنافس" بين المواطنين أنفسهم.. بانتخابات حقيقية.

والانتخابات، حسب توضيح د.محمد السيد سعيد، ليست فقط وسيلة لاختيار رئيس من بين متنافسين، فالأهم أنها تنشط ذهن المجتمع سياسياً وتعرفه بخياراته وتفرز نظريات وتجمعات تتمحور كل منها حول مصالح معينة.. إنها اللحظة الأروع في حياة أي شعب. د.السيد سعيد ذكرنا أيضاً بأن مصر "أقدم دولة في التاريخ، ولا يليق أن تحكم بدستور تسلطي. لا ينفرد الباحث المعروف بمركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية بهذه السروية، فهناك ما يشبه الإجماع على حتمية تعديلات دستورية

إصلاحية، في القلب منها اختيار "الرئيس/ القاطرة" بين أكثر من مرشح. وأمام إصرار النظام على التفرد بالمنصب.. توزعت رؤى التعامل مع "احتكار" الذات الرئاسية له بين ثلاثة توجهات.. يتماس أولها وثانيها في عدة نقاط.. ويقف الثالث منعزلاً مقرباً من رؤى "الذات الرئاسية".

الأول: تمثله أمانة تحالف أحزاب المعارضة المعترف بها رسمياً، يفضل الاستمرار في الضغط بالوسائل المتاحة وفقاً لواقع الحياة السياسية لتحقيق الإصلاحات المطلوبة. آخر تحركات التحالف كانت مؤتمر عابدين المقرر عقده في الخامس من نوفمبر القادم^(١). والثاني في القلب منه حركة (كفاية) التي ترى أن الوسائل المتاحة لم تعد تجدي، والحل في معركة سياسية متصاعدة تطرح اسماً مدعوماً شعبياً^(٢)، تتكفل حوله معظم الفعاليات السياسية لمنافسة مبارك الأب.. على الأقل إعلامياً.

ضياء الدين داوود^(٣) رئيس الناصري، أحد أبرز أحزاب "التحالف"، عبر عن تحفظ أقرب لرفض الفكرة، فنحن - على حد تعبيره - نواجه سلطات لا نهائية.. نتوقع ألا تسأل عما نفعل، وأي اسم سيطرح كمنافس "ح يتجرح" وقانون الطوارئ جاهز للتطبيق. وتساؤل (داوود) - الوزير السابق ورجل القانون - كيف يمكننا اختراق المانع الدستوري الذي يشترط لطرح الأسماء للمنافسة الحصول على تأييد ثلث أعضاء مجلس الشعب.. وطرحها للاستفتاء بحصولها على ثلثي الأعضاء. قلت له.. المعركة حسب تصور حركة "كفاية" سياسية في المقام الأول لتحشد وتحريك رأي

عام ضاعط لتعديل الدستور. لكن رئيس الناصري تمسك بتحفظه محذراً من أن المعركة ستؤد من أول لحظة.. فالخلاف سيتفجر حول الاسم المطروح، والساحة السياسية منقسمة على نفسها في ظل بيئة لا تسمح لها بالتجاوز والتوافق، مشيراً بشكل خاص إلى التيار الناصري، الذي رغم ثوابته الواحدة موزع على ثلاثين فرقة.

داوود حرص على توضيح أنه ليس رافضاً للفكرة بقدر ما هو متشكك في جدواها.. وفي فرص نجاحها، لأن فشلها - كما يتوقع - سيغرق الناس في إحباط أكبر. داوود الذي أكد عدم وقوف (الناصري) خلف الاسم الذي ستتطرحه (كفاية).. أياً كان، أكد في نفس الوقت أهمية طرح فكرة "المنافس" للجدل العام. طرح منافس على "الرئاسة" ليس وليد اليوم، فعلى الإنترنت "دسنة" مواقع طرحت الفكرة.

"في يوم سطعت عليك فيه شمس الديمقراطية لترشح رئيساً لمصر".. هكذا دشّن موقع (شئون مصرية) حملته. استطلاعات الرأي المشغولة بـ "المنافس على الرئاسة" بدأت أولها عقب "إغماء" مجلس الشعب وتزايد عددها مع "جراحة ألمانيا"، طارحة أسماء تراها معبرة عن ألوان الطيف المصري من (مبارك الإبن) إلى (نجيب ساويرس)، مروراً بـ (عمر سليمان وأيمن الظواهري وعمر و خالد ومجدي أحمد حسين ونعمان جمعة ورفعت السعيد وحسين صباحي.. وعمر و موسى)، ولم يطرح اسم (مبارك الأب) إلا في مواقع تشغل بتقييمات الأفضل والأسوأ.

من الإنترنت إلى شبكة "قعدات" ضمت سياسيين ومتقنين
انشغلت بمستقبل وطنها، اقترح أحدهم أحياء مصطلح "أبو الأمة"،
بالاستقرار على اسم له قيمة وطنية مجمع عليها، تحتشد حوله
التحركات الساعية للتغيير، الطرح كان قويا أثناء وعقب جراحة
ألمانيا، وقتها تحدث البعض عن أبو الصناعة المصرية (عزيز
صدقي) ^(١) وعن شيخ القضاة يحيى الرفاعي والفقيه القانوني
طارق البشري.. وبالطبع "الأستاذ" هيك.

هيك كان أول "الآباء" الذين نوقشت الفكرة معهم، ونُقل عنه
ترحيبه بها.. واعتراضه على الشريحة السنوية المقترحة، لأنها
تضد طبيعة الأمور وضد الأفكار المطالبة بالتجديد والتحديث.
هيك استخدم هنا مفردة عامية ^(٢) تعني انتهاء دور هؤلاء.

لكن فكرة طرح منافس لمبارك.. الأب أو الابن، خرجت
للعلن في العاشر من سبتمبر الماضي، أثناء مؤتمر جماهيري
حاشد ضم كل الأطياف السياسية على منصة واحدة تضامنا مع
سجناء الرأي بنقابة المحامين، واستغله القيادي الناصري
عبدالعزیز الحسيني للمطالبة بالتوحد في كتلة واحدة ببرنامج
إصلاحي يقترب من هموم الشارع. يطرحه، كواجهة له، اسم يتفق
عليه كمنافس على الرئاسة. الحسيني اقترح معايير محددة لضبط
الأسماء المرشحة.. "معروفة نسبيا للكتلة النشطة سياسيا، قادرة
على مخاطبة الجماهير والتواصل معها، سبق اختبارها في مواقف
عضائية وتحملت بطش السلطة ولم تتراجع. لأن المعركة - من

وجهة نظره - ستكون شديدة القسوة. والأهم ألا يكون منعقلا
أيديولوجيا.. ليحظى بدعم معظم التيارات".

في نفس المؤتمر التقط القديس (نبيل الهلالي) ^(٣) الفكرة
داعماً ومؤيداً.. بل ومصرحاً لعضائية الجزيرة بأن (كفايه)
مستبناها وتأخذ خطوات نحوها.. لتصبح المرة الأولى في تاريخ
مصر الحديث التي يطرح فيها منافسا للحاكم منذ طرح (محمد
علي) بديلا لـ (خورشيد باشا).

الفكرة كانت مطروحة أذن في كواليس كفايه، التي رفعت في
مؤتمرها الأضخم بجمعية الصعيد شعار "كفاية طواري"، وهي
تضم حتى الآن أكثر من ٦٠٠ سياسي ومنقف.

في مؤتمر جمعية الصعيد أخذت الفكرة زخماً جديداً. يقول
منسق الحركة جورج اسحق: الفكرة ما زالت قيد البحث
لخطورتها، والموضوع عاوز حنكة في التعامل، النظام يدعم
مقولة أن لا بديل غيره سوى عدم الاستقرار، نريد طرح اسم له
مصدقية تفوق ما هو كائن.. قادر على تحمل ضغوط متوقعة من
السلطة. جورج تحدث عن وضع قائمة للفرز منها.. يتمهل
وبمشاركة معظم القوى، متوقفاً جدلاً حول الاختيارات
المطروحة.. "لأن النظام قتل الحياة السياسية ولم يسمح بنمو رأي
عام يفرز قيادته". جورج اقترح على كفايه والداعمين لتحركاتها
اتخاذ مقال المستشار طارق البشري ^(٤) في العدد السابق من
(العربي).. "مانيفستو" لمعركة "المنافس".

على حدود الفكرة وقف د. حسن نافعة أستاذ العلوم السياسية بجامعة القاهرة، قائلاً: إذا كانت المسألة معركة سياسية وأساليب ضغط، فهناك وسائل أكثر جدوى، أهمها اتفاق معظم عناصر المجتمع المدني والأحزاب على هيئة قومية لها مصداقية وطنية.. تعبر عن كافة الاتجاهات لتقود التحركات الإصلاحية، وتمارس دوراً مشابهاً لما فعله المطالبون بالاستقلال قبل ثورة ١٩٠٠.. مع حملة توقيعات "تقويفية" لهم لاكتساب شرعية موازية للسلطة. الهيئة حسب طرحه ستتولى أيضاً صياغة دستور بديل، أبرز ما فيه انتخاب الرئيس من بين أكثر من مرشح.. وبالتوازي مع تصعيد تدريجي للأنشطة، ستتولد بصورة طبيعية الأسماء المنافسة.

أستاذ العلوم السياسية انضم لرئيس الناصري في مخاوفه من خلافات متوقعة حول الاسم المنافس، مشيراً هنا إلى أن أحزاب المعارضة التي تشكو من استبعاد النظام لها، استبعدت بدورها قوياً لا يعترف بها النظام المطلوب تغييره. وأيضاً إلى تحركات عاصرها العامين الماضيين.. بدأت بحماس سرعان ما يفتقر. تخوف د. نافعة الأساسي يأتي من الموات المسيطر على الساحة، فإذا كانت الكتل النشطة تفتقر بسهولة.. فماذا عن الشارع الذي بدون تحركه لا أمل في أي إصلاح. د. نافعة - أخيراً - لم ير في جيل الوسط الذي اقترحه هيكل اسماً يستطیع استقطاب الناشطين والشارع حوله.

"الفكرة برفقة من أول وهلة.. علق المبدع أسامة أنور عكاشة، لكنه سرعان ما انضم لتخوفات رئيس الناصري ود. نافعة، مقترحاً أن تبدأ المعركة بخطوات محسوبة.. مثالية وسريعة، متفقاً هنا مع نافعة على أحياء حملة توقيعات ثورة ١٩٠٠"، على أن ترفع للرئيس ليرى المطالب الحقيقية للشعب. تخوف عكاشة الأكبر كان البطش المتوقع ضد الناس، فنحن بتعبيره الحرفي "تقرب من منطقة ظلت محرمة لعقود.. من العصب الحساس للنظام". ورد السلطة سيكون عنيفاً مستغلة الطوارئ والتجريم.. مستندة إلى أن الدستور حدد طريقة وحيدة لاختيار الرئيس. لذا فهو يطرح تحركاً يشبه المؤتمر العام.. غير حزبي، وفرصته الوحيدة في الحياة ترتبط بحشد الجماهير حوله.. فبدونها لا حماية من البطش.. ومن هذه التحركات سيفرز الشارع منافسي الرئيس.

تخوفات مماثلة لدي الروائي الكبير صنع الله إبراهيم^(٨)، فبدون إلغاء الطوارئ وإطلاق حريات التعبير وإصدار الصحف ستولد الحركة ضعيفة. كيف ستصل إلى الشارع؟.. يتساءل صنع الله، لكنه كما نافعة وعكاشة يستعيد تجربة توقيعات ١٩١٩، ليس فقط لاكتساب شرعية موازية، بل أيضاً لعدم "تخويف الناس" المرعوبين من كلمة سياسة، فطلب التوقيع من وجهة نظر صنع الله، لن يعتبره الناس بخطورة المطالبة بالتظاهر.. وعندما تتحول الحملة إلى قضية رأي عام سيسهل تحريك الشارع.. وطرح

الأسماء المنافسة. صُنع استدراك: ليس معنى ذلك أنني ضد الفكرة، لأنني سأقف خلف من تتفق عليه أغلبية القوى النشطة.

ولا يرى مخرجنا يوسف شاهين تناقضاً بين توجهي تحالف الأحزاب وحركة (كفايه) المنضم إليها^(١)، فيمكننا التحرك في الاتجاهين معاً، فالمهم عنده أن يحصل على حق انتخاب من يدير أمور بلده مثل أي مواطن غربي. ولتلميذه المخرج خالد يوسف نفس الرأي تقريباً، لكنه انضم لتخوفات إجهاض فكرة (كفايه) بالخلاف حول الاسم، مضيفاً أن المبدأ هو التغيير الجذري والباقي تكتيكات نستق ونختلف حولها. خالد، الموقع على بيان (كفايه)، سيدعم من اختياره متوقفاً دعماً مماثلاً من شاهين.

نائب الشعب سابقاً - جمال أسعد رحب بالطرح كـ "عملية رمزية" تخدش استحواذ فرد على المنصب، وبالطبع لا يتوقع مرورها من مجلس الشعب لأنه في "أيدي مبارك". ورغم أن أسعد تمنى أن يفرز الشارع تلقائياً مرشحيه إلا أن تفهمه للواقع يدفعه لتحديد طرح اسم/ رمز، كادر جماهيري.. له علاقات وثيقة بكافة القوى. اتفاق أسعد مع تخوفات من سبقوه حول خلافات الاسم، لم تمنعه من التشديد على أن أساليب "إدارة" الخلاف تضع القوى النشطة على المحك.. كاختبار فعلي لإمكانية توافقها.

داخل (كفايه) عدد من رموز الإخوان.. كأفراد، لكنني كنت واضحاً مع د. عبد المنعم أبو الفتوح^(٢) في أنني أتحدث لقيادة إخوانية. أبو الفتوح كان متابعاً للطرح.. ولم يرفضه. مع تأكيده على أن الأمور لم تتبلور بشكل نهائي، لا يتوقف كثيراً عند

مخاوف الخلاف على الاسم، لأن المعركة تهدف لتوعية الناس بالأهمية القصوى لانتخاب الرئيس ديمقراطياً لتحسين حياتهم وضمان مستقبل أبنائهم. أبو الفتوح مع تقليبه من أهمية خلافات الاسم. تسائل: ما البديل والنظام يرفض تماماً أي نقاش حول تغيير حقيقي؟.

للإخوان مطالب محددة في "الاسم": له ثقل نسبي بين الناس، يحترم الدين والقيم الروحية.. والحريات، يقبل بالآخر.. أيا كان هذا الآخر، متسامح ويعي قيم الحضارة المصرية بعناصرها.. من الفرعونية إلى الإسلامية. أبو الفتوح رأى أن البيئة المصرية مليئة بعشرات يصلحون للمنصب.. لكن المناخ السائد يخفقها. وهو مع تحبيذه الشخصي لاسم محدد.. رفض تحديد موقف الإخوان.. مُشدداً على أن وقوف قيادات منها خلف اسم ما لا يعبر عن موقف الجماعة.

ومبدأ طرح منافس لمبارك يتفق مع رؤية حزب الغد كما يؤكد أيمن نور وكيل مؤسسيه وعضو مجلس الشعب. نور كان متحفظاً في الحديث "لأن مسؤولين أمنيين اتهموني بالسعي لترشيح نفسي ضد مبارك في مجلس الشعب". سألته عن صحة "الانتهام" فأجابني بضحكة، مضيفاً: أمامنا خيارين لا ثالث لهما.. أما احترام الدستور الخائب لأمال الأمة كـ "حذاء" ضيق يقيد تحركها، أو تجاوزه، وتجاوزها هنا يشبه "الفرض".. إنقاذاً للأمة والوطن. نور وعد بتأييد حزبه - تحت التأسيس - للاسم الذي تتفق عليه "معظم" القوى^(٣).. حتى لو كان مختلفاً أيديولوجياً مع الغد، مُستترطاً فقط

أن يكون مدنياً وينتمي لشريحة سنّية أقل كثيراً من الشريحة المسيطرة على الحكم، وله قدر من المصداقية.

دائماً هناك مخاوف من الخلاف على الاسم.. عدا د. محمد السيد السعيد الذي لم ير لها أي مبرر. فالعادي يقول - أن تختلف الناس وتتفاضل وتتسابق في جدل صحي لتصل إلى توافق.. وإلا متى سنجرب احترام التعددية. مقترحاً أن يدخل داعمو الفكرة في مشاورات موسعة، تماماً كما يختارون رئيس شركة أو أستاذ كرسي في الغرب، وتطرح عشرات الأسماء ويجري حولها "إستمزاج"، وبعد خلافات طبيعية يمكن الاستقرار على قائمة محدودة، ليجري عليها ما يشبه الانتخاب الداخلي. د. السعيد لا يرى ضرورة لإجماع هنا، يكفي أن يتفق الأغلبية على شخصية.. يفضل أن تكون غير حزبية، قادرة على القيادة.. تحت الخمسين و"يقظة ذهنياً". وهو أيضاً لا ير فشلاً في عدم الاتفاق على اسم وحيد.. فما المانع أن يكون أسمين أو حتى ثلاثة، صحيح أن هذا يضعف وحدة التحركات.. لكنه يرسخ مبدأ التنافسية ويقتل مبدأ "الواحدة".. حتى في داخلنا نحن.

خارج التوجهين المتداخلين تقف ثلاث منظمات "حقوقية" شبه منعزلة، تطالب بإصلاح تدريجي.. يبدأ بعد الاستفتاء والموافقة على فترة جديدة لمبارك. هشام قاسم العضو المنتدب لجريدة (المصري اليوم) ورئيس المنظمة المصرية لحقوق الإنسان، اشترط للحديث أن أصفه - فقط - بـ "الناشط السياسي"، مبرراً ذلك بأن رأيه الشخصي قد يبدو متصادماً مع الحريات، موضحاً

أن التركيز على الإصلاح الجذري وعلى رئيس جديد يهدد الاستقرار، فال"ثورة" - كما يرى - دمرت السلطة التشريعية والقضاء والإعلام.. وجاء النظام الحالي ليقضي على السلطة التنفيذية، وبالتالي ليس بالمجتمع أليات سياسية تمكن "مدني" من الحكم.. "ستفك منه". قاسم تسأل.. هل نريد أن نصبح مثل تونس.. انتخاب بين أكثر من مرشح.. ونتيجة صورية تماماً.. والمنافسون أنفسهم يؤيدون الرئيس؟ تسأل أيضاً.. ما هي أليات ضغطهم، ليس معهم قوى شعبية ولا منظمات رأسمالية ولا عسكري.. الحكومة تتعامل معهم كجزء من ثقافة الاحتجاج^(١١).

تعبيرات تشبه كرسي في الكلوب، لكن (كفاية) ماضية في طريقها، الاثنين الماضي اجتمعت أمانتها العامة واستقرت على صياغة عريضة ذات طابع شعبي لجمع مليون توقيع عليها، وتنشيط تحركاتها في أنحاء مصر، وتشكيل لجنة قانونية تضم (شيخ القضاة يحيى الرفاعي والمستشار طارق البشري ونبيل الهلالي ود. عاطف البنا وعصام الإسلامبولي).. وغيرهم، لضبط تحركات "كفاية" قانوناً وصياغة تعديلات دستورية مقترحة - أيضاً - تضبط انتخاب وصلاحيات الرئيس.

هوامش

- (١) فشل التحالف في عقد أية مؤتمرات وظل ممثلاً للرفض الأمني حتى انتهى وجوده.
- (٢) لأن فكرة "المنافسة" كانت إعلامية وسياسية في المقام الأول، لحشد الجماهير حولها تمهيداً لإعلان العصيان المدني، تراجعت (كفايه) عنها بعد إعلان مبارك تعديل المادة ٧٦ من الدستور ليُسمح بمنافسة صورية له.
- (٣) بعد خلاف مع أمينة العام أحمد حسن، نجح رئيس الناصري في إقناع مكتبه السياسي وأحمد حسن نفسه، بمقاطعة انتخابات الرئاسة بعد إتمام التعديل الدستوري، معتبراً الأمر كله لعبة تنتظر كومبارس لإكمالها.
- (٤) رئيس وزراء مصر في العهد الناصري، توفي ٢٥ يناير الماضي عن ٨٨ عاماً، كان من أبرز معارضي مبارك.
- (٥) استخدم هيكल تعبير "كهنة".
- (٦) مناضل ماركسي رائد، ورجل قانون وقف ودافع، في الحياة وأمام القضاء، عن كل التيارات السياسية، حتى الأكثر تناقضاً مع أفكاره.
- (٧) "ادعواكم للعصيان" .. عنوان مقال/ دراسة، أكد فيه (البشري) تعري نظام مبارك من أية شرعية وهو ما يستدعي الدعوة لعصيانه مدنياً.

(٨) أحدث صنّع الله زلزالاً في الحياة الثقافية والسياسية المصرية والعربية، برفضه جائزة القاهرة للرواية أكتوبر ٢٠٠٣، لأن "الجهة التي تمنحها فقدت كل مشروعية".

(٩) في حوار شهير له مؤخراً، ورغم تأكيده على أنه "كفايه" فعلاً لنظام مبارك، وترحيبه ودعوته الفنانين للمشاركة في مظاهرات كفايه، نفى (شاهين) توقيعه على بيان الحركة، موضحاً أن "أحدهم" وقع نيابة عنه.

(١٠) وقع أبو الفتوح مع عدد من قيادات الإخوان على بيان كفايه، لكنهم غابوا عن أشعلتها.

(١١) نور: من الموقعين على بيان (كفايه)، شارك في اجتماعات تأسيسها، ورغم إعلان التزام حزبه، بعد الموافقة عليه، بقرارات الحركة، فاجأها بإعلانه ترشيح نفسه، لتحدث ما يشبه القطيعة بينهما.

(١٢) موقف هشام من الإصلاح التدريجي شهد انقلاباً كاملاً، عقب صيغة تعديل المادة ٧٦. هشام شارك في حملات داخلية وخارجية تحت شعار تغيير جذري.. والآن، ووصل الهجوم الحكومي عليه إلى درجة السخوين. ترك (المصري اليوم) ويسعى لتأسيس مؤسسة صحفية لبرقية مستقلة.

مظاهرة شبيرا مصر^(١)..

الشارع ينتظر من يقوده

(شبيرا مصر).. هكذا عرفناه "ها" تميزاً عن مئات الشبراوات في مصر.

نشأ مع تأسيس محمد علي مصر الحديثة، وارتبط في ذاكرتنا بالطبقة الوسطى، رغم تـكونه بداية على أيدي الأثرياء.

لـ (شبيرا مصر) في ذاكرة من عاشوها ومن اقتربوا منها طبيعة خاصة، بيئة منفتحة.. أكثر تقدماً اجتماعياً.. قادرة على احتضان نماذج لثقافات مختلفة، والأهم تجلي الوحدة فيها بين عنصرى الأمة.. دائماً ما تقفز مع "اسمه/ اسمها.. الحي/ الشارع/ الحته"، نماذج تعيش وتداخل بين العنصرين تجاوزت كل ما مر بالوطن من أزمات.

لـ (شبيرا مصر) صورة أخرى موازية.. شعبية، ولد بيكلم بنت على التلستوار* كما أبدع (عبدالرحمن الأبنودي). وشقاوة شبياها.. وجمال ورقة بناتها. ومنها خرجت.. وفيها عاشت أسماء، ظلت وفيه لروح المكان، تتذكرها في أفلامها، (يوم حلو ويوم مر) لـ (خيري بشارة) و (أحلى الأوقات) لـ (هالة خليل)

و (فيلم هندي) لـ (منير راضي)... وقبلها (بداية ونهاية) لـ (صلاح أبو سيف). وكتابات... رواية (شبرا) لـ (نعيم صبري) وإبداعات (فتحى غانم)، خاصة روايته (بنيت من شبرا)، التي تحولت إلى مسلسل/ مشكلة تكشف عن تشوهات ألقت بظلالها على الوطن كله. ومذكرات المؤرخ/ المفكر (رعوف عباس) (مُسبِئها خُطى كُتبت علينا)، ودراسات وأبحاث المؤرخ (محمد عفيفي المنشغلة) بـ (شبرا مصر)... كحالة تاريخية اجتماعية ثقافية... وكتلخيص لمصر مأزومة ومأمولة.

يا أهل شبرا... يا وحدة، شعار الدعوة للمظاهرة التي شهدتها الشارع، بدأت السادسة بعد عصر الأربعاء... تذكيراً بفضيحة هذا الأعراس التي ارتكبها مجرمو الفكر الجديد يوم الأربعاء الأسود. اهتمت كل وسائل الإعلام العربية والأجنبية بالمظاهرة، لكنها توقفت، فقط، هي وصحف بريطانية وأمريكية عند مشهد واحد... موقف الأمن منها. ولم يلتفت أحد لدلالات كثيرة شهدتها المظاهرة... أولها المكان بطبيعته الاجتماعية الخاصة، والأهم... أن المقولة التي بصر البعض عليها منذ أشهر لها وجودها الواقعي... "الشارع ينتظر من يقوده".

بدأت المظاهرة بحوالي ١٥٠ ناشطاً، وانتهت بأكثر من ١٥٠٠ متظاهر. قطاع هتف ضد مبارك... وآخر اكتفى بالتحرك مع النشاط مستمعاً لهتافاتهم... لكنه سار معهم كيلو متر تقريباً ذهاباً وعودة في الشارع.

الروي (شيماء سعيد)... المحببة وغير المسببة، كيف أنهم لم يكتفوا بدعوة كبيرة في إقناع فتيات بالانضمام للمظاهرة... نقاش معهم ثم تردد ثم حسم الموقف بالانضمام. نفس السيناريو تكرر مع (محمد توفيق) القادم من الإسماعيلية، وصف لنا تردد الأهل... وسير البعض لخطوات منصرفين ثم انقائهم للخلف... وبرزت للمظاهرة. وبرزت موقع (الوعي المصري) بكاميرا في (شبرا) (١) تطور موقف الناس، فرجة مع علامات دهشة على الوجه واستفسار... ثم انضمام تدريجي للمظاهرة.

الاشارة انضمام تلبى من المئات ومعها حلقات نقاش عقب انتهاء المظاهرة، فتحها الناشطون فوق محطة مترو أنفاق روض مصر... وعلى مقهى شعبي وعلى محطتي أتوبيس، تكشف عن تطوري الناس للتغيير... وبالطبع عن تعميم وتشويه وعي لعقود. السبيل الذي يبدو ساذجاً نعرفه جميعاً... "طب مين بداله؟". هناك من أراد، وهناك من خرج محتقلاً بحيرته... "طب مين بداله؟".

اسم المستف من انضموا للمظاهرة لطيف ألوان الشعارات... من شعارات حزب العمل الإسلامي المجدد إلى أعلام الحمراء بالمنجل والمطرقة... وما بينهما... لم يشغلوا بها... أنهم أنهم انضموا و"هتقوا ضده".

ومن انضم مرحباً بائعة ذرة نموذج للإفقار... توقف عندها... لم تخش تعليق ملصق (لا لمبارك). و (معلمة)... للأسف لم نستطع معرفة اسمها، إلا أن أركان الغرض من المظاهرة حتى تركت محلها إلى حيث

تقف (د. عابدة سيف الدولة ود. ليلي سويف) ^(١) وزميلتهما.. سلمت عليهن مربية يدا بيد.. ورافقت المظاهرة ذهاباً وعودة، وما أن يقترب أحد بلطجية (الحزن الوطني) من المتظاهرين حتى تنهره باسمه وباسم أمه!!.. فيقفون بعيداً ليعبروا عن "فكرهم الجديد".

مُستأجرو "الفكر الجديد" بدو أقلية وسط الشارع.. معزولة شعبياً بهتافات المسجلة، من نوعية "حسنى.. حسنى.. هوو.. هوو.. لكنهم طوروها إلي "مبارك ميه ميه.. حتى من غير ديمقراطية".. وارتفع مستوى فكرهم أكثر بهتاف "أحبه، أخوه.. قال إيه عاوزين يشيلوه" ^(٢). وأكثر فأكثر بإشارات "الأصبع الوسطى" التي التقطتها كاميرا وكالة (الأسوشيتد برس) ونقلتها كبريات الصحف عنها، منها (سان فرانسيسكو كرونكل) الأمريكية.

"المعلمة" رحبت وحميت، لكن مجموعات شبابية، بعد المشاركة ودعوات النقاش مع المحامي (أحمد سيف الإسلام) ^(٣) وقيادات حزب العمل، طورت الترحيب إلى دعوة ملحة لتكرار التظاهر في نفس المكان.. أو في غيره، فالمتظاهرون اتفقوا على تكريس يوم الأربعاء للتذكير بفضيحة هتك الأعراض.. وحددوا مكان المظاهرة القادمة في الزيتون.. فشارع (طومان باي ينتظرهم).. في السادسة مساء الأربعاء القادم أمام كنيسة العذراء ^(٤).

هوامش

(١) (شبرا مصر) اختارها مخرجنا يوسف شاهين وتلميذه خالد يوسف فضاء تكرر فيه أحداث (هي فوضى).

(٢) مصور ديجيتال، وثق بكاميرته التحركات الإصلاحية السنوات الثلاث الماضية، الآن من أبرز المدونين العرب.

(٣) د. عابدة: من أبرز ناشطي الحملة الشعبية من أجل التعبير. د. ليلي: أستاذ رياضيات بعلوم القاهرة، ناشطة حقوقية بارزة.

(٤) فضلنا الاتيان بنصر الهتاف المسجل توثيقاً لما حدث.

(٥) ناشط حقوقي بارز، مدير مركز هشام مبارك للمساعدة القانونية.

(٦) لاقى (مظاهرة العذراء) قبولاً دافئاً من أهالي الحي، من التصفيق لها ومدحها بكميات هائلة من المياه المثلجة.. إلى ترديد الهتافات معها.